سيوف السعيد

المعتقد في أهل الله كالتجاني

على رقبة الشقي الطريد المنتقد الجاني

لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري التجاني

رضي الله عنه وأرضاه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سيوف السعيد المعتقد في أهل الله كالتجاني على رقبة الشقي الطريد المنتقد المستهتر الجاني، للفقيه النبيه المتبحر في علمي الشريعة والحقيقة، السيد عمر بن سعيد الفوتي الطوري التجاني، كان الله لنا وله وبجميع المسلمين بما كان به لأوليائه المقربين.

الحمدُ للَّهِ الذي أحلَّ من أحبَّ من عباده بحبوحةَ جنة الاعتقاد، ولم يجعلهم بعدله جل وعلا في دركة جناية الانتقاد، وعرَّفهم بامتنانه التسليمَ والتصديق بجميع حضرته، وما شغلهم ببحث عيوبهم تعرضا بما حكم على

المنكر عليهم بعذابه ونقمته، ونحمده على ما منَّ علينا بعدم محاربته بالإنكار على أحد من أوليائه، ونشكره على ما أنقذنا ونجَّانا من إذاية أحد من أصفيائه، سبحانه من لم يجعل الدليل على أوليائه إلَّا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه، والصلاة والسلام على من قال: «إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ المَخْزُونِ لَا يعلمهُ إِلَّا العلماءُ باللهِ، فإذا نَطَقُوا بالله لا يُنْكِرُهُ عليهم إِلَّا أهْل الغرَّة بِهِ».

أما بعد، فيقول أفقر العبيد إلى مولاه الحميد، عمر بن سعيد الفوتي الطوري التجاني:

هذا كتاب سمَّيته: «سيوف السعيد المعتقد في أهـل الله كالتجـاني، على رقبـة الشـقي الطريـد المنتقـد الجاني»، وضعته لنفسي ولإخواني في الطريقة، ولكل من شاء الله تعالى نفعه به من أهل الشريعة والحقيقة، ورتبته على مقدمة وأحد عشر فصلا وخاتمة.

◂ أما المقدمة: ففي تبيين أن صاحب الإنكار قد يؤاخذه الله تعالى بإنكاره في الدنيا بإهلاكه مع ما يدَّخر له في الآخرة. اهـ.

◂ الفصل الأول: في تنفير الإخوان و؟ على الإنكار على واحد من ساداتنا الأولياء.

◂ الفصل الثاني: في إعلامهم أنه لا يجوز الإنكار على الحقيقة إلا لمن أحاط بجميع

شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يحيط بها إلا الغوث الفرد الجامع.

◂ الفصل الثالث: في تحذيرهم عن مخالفة الشيخ بعدم امتثال أوامره حاضرا كان أو غائبا، والاعتراض عليه سرا وجهرا.

◂ الفصل الرابع: في إعلامهم أنه لا بد لكل مريد صادق أن يقتصر على شيخ واحد ولا يتشوَّف إلى غيره ولا يشرك معه شيخًا آخر.

◂ الفصل الخامس: في الترغيب في الاجتماع للذكر والجهر به، والحض عليه، وكونه مما ينبغي التمسك به لفضله.

◂ الفصل السادس: في منع استغراب المقامات والكمالات التي أعطاها الله تعالى أولياءه، على وجه النفي بمجرد العقل من

غير نظر أن نيل تلك الفضائل والكمالات جائزٌ شرعًا وعقلًا، والمولى غني كريم مختار قادر.

◂ الفصل السابع: في فضل شيخنا رضي الله تعالى عنه، وبيان أنه خَتْمُ الأولياء، وسيدُ العارفين، وإمامُ الصديقين، ومُمِدُّ الأقطاب والأغواث، وأنه هو القطبُ المكتوم، والبرزخُ المخْتُوم.

◂ الفصل الثامن: في فضل المتعلقين به رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به من أي وجه من وجوه المتعلقات، وما أعد الله تعالى لهم، وفي فضل ورده وما أعد الله تعالى لتاليه.

◂ الفصل التاسع: في بيان تسمية هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية.

◂ الفصل العاشر: في الجواب رضي الله تعالى عنه في مسائل متفرقة قد يعترض عليه فيها بعض من لا قدم له في العلم.

◂ الفصل الحادي عشر: في أمر الإخوان المنتسبين إلى طرق أهل الله عز وجل بتحمل إذاية المنكرين والمعترضين عليهم وعلى ساداتهم من الأولياء اقتداء بأنبياء الله تعالى ورسله وأوليائه، والتأسي بهم.

◂ الخاتمة: في بيان أن الولى قد يعلم ولايته وقد لا يعلمها، وقد يعلم أنه مأمون العاقبة، وأن من الناس من لا يفتح الله تعالى عليه إلا عند الموت رحمة به، وأن منهم من

يموت غير مفتوح عليه ويبعثه الله تعالى على حالة هي أكبر وأكمل من حال المفتوح عليه.

وهذا أوان الشروع في المقصود، فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق.

المقدمة في بيان أن صاحب الإنكار قد يؤاخذه الله بإنكاره في الدنيا بإهلاكه، مع ما يدخر له من العذاب في العقبى.

اعلم أن الإنكار المجرد سريعُ العطب كما جُرب، وقد يؤخذ بالإنكار مطلقا.

حكي أن شخصا مرَّ على سيدي علي البدوي الشاذلي فأنكر عليه لأمور رآها منه، فقال له: ما لك لا تتأدب مع الفقراء؟ أما تخشى الهلاك؟، ثم حرَّك يده وإذا بيد سيدي علي في بطنه تجذب مصرانه حتى كادت تنقطع، فصاح بأعلى صوته إلى الله تعالى، فخرجت اليد من بطنه.

وَرُوي أن بعضَ الملوك قال لبعض أرباب الأحوال: أخاطرك على ابنتي فإنها قد حضرها الموت، فقال له: اعطني ديتها وأنا أفديها ببنتي، فأعطاه ألف دينار، فقال لابنته: موتي على ابنة الملك، فماتت لوقتها وقامت ابنة الملِك، فأنكر عليه شخص فابتلاه الله بالجذام.

ووقع أن بعض الناس أنكر على فقير رآه جالسا في بيت المزر، فحصل للمنكر القولنج حتى أشرف على الهلاك بل على الموت، فجاؤا إليه واعتذروا، فقال لهم: قولوا له يستغفر الله تعالى فإنه يعافى، فاستغفر فعُوفي لوقته.

وطلب جماعة من الشيخ أبي المواهب الشاذلي ان يقرؤا عليه في الفقه على مذهب الشافعي، فأجابهم، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا، فحُجب عن ذلك، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله ما ذنبي؟ قال: «إقراؤك في الفقه»، فقال: أليس هو من شريعتك؟ قال: «بلى، ولكن يحتاج إلى أدب مع الأئمة». اهـ.

وقد تصدَّى شخص للرد على الإمام أبي حنيفة، وعمل في ذلك كراسة وأتى بها إلى سيدي عبد الوهاب الشعراني يعرضها عليه، قال: فطردته ولم أصغ إلى قوله، ففارقني فوقع من سلم بيته وكان عاليا، فانكسر صلبه وخرج زر وركه، فهو إلى الآن يبول ويتغوط

على نفسه، وقد أرسل لي مرات أن أدعو له فلم أفعل أدبا مع الإمام أبي حنيفة (أن) أو إلى من أساء الأدب معه. اهـ.

نعوذ بالله من التعرض للهلاك بإذاية أوليائه.

▯ الفصـل الأول في تنفـير الإخـوان وتحـذيرهم عن الإنكار على واحد من ساداتنا الأولياء.

اعلم أن الإنكار على الأولياء، والاعتراض عليهم، والتكلم في أعراضهم بما يؤدي إلى نقص مراتبهم العلية، إذاية لهم وفي إذايتهم خطر عظيم على المؤذي، لأنهم أبواب رحمة الله تعالى دنيا وأخرى، وعلى أيديهم تتنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم، وهم الوسائل ولولاهم لهلك الكل، كما قيل لولا الواسطة لذهب الموسوط، ومن آذى واحدا منهم فقد آذى الكل، وفي ذلك ذهاب رأس المال والربح، لأنه لا ينتفع بشيخه الذي انتسب إليه، بل شيخه يكون أول من تبرأ منه، لأنهم ورثة الرسل وللوارث ما

للموروث، ومن فرق بين الرسل وآمن ببعض وكفر ببعض طرد ولعن دنيا وأخرى، كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) إلى (رَحِيمًا).

فإذا علمت هذا علمت ما صحَّ وتواتر وجرى على الألسنة قديما وحديثا وهو أن الإنكار على الأولياء يكون سببا لسوء الخاتمة، لأن في إذايتهم إذاية الله جل جلاله، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الآية، وفي تبيين المحارم وغيره معناه: الذين يؤذون أولياء الله، وفي الحديث الرباني: «مَنْ

عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، وفيه: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ».

وقيل: لم يحارب الله إلَّا عاصِيَيْن: آكل الربا، والمنكر على الأولياء، ويخشى على من حاربه الله سوء الخاتمة إذ لا يحارب الله إلا الكافر.

أما آكل الربا فلقوله تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)؛ وأما الآخر فلحديث: «مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ».

قال الشيخ زروق: اعلم أن الاعتقاد أصل في كل خير، والانتقاد أصل في كل شر. وقال (القشيري) الاعتقاد ولاية والانتقاد جناية.

فإن عرفت فاتبع، وإن جهلت فسلم. ومبنى التصوف على التسليم والتصديق وحسن الظن حتى يأتي الصارف، ومبنى الفقه على البحث والتدقيق حتى يأتي الصارف. والحذر عن الجميع واجب حتى تتحقق الصورة المانعة من الضرر. وأجمع أهل الكشف أنه ما أنكر أحد أمرا إلا حرم ذلك الأمر. اهـ. انظر الدرر.

وفي الإنسان الكامل: فإن من أنكر شيئا من علمنا هذا حُرِمَ الوصول إليه ما دام منكرًا، ولا سبيل إلى غير ذلك، بل ويُخْشَى عليه الحرمانُ للوصول إلى غير ذلك مطلقا بالإنكار أوَّلَ وهْلة، ولا طريق إلا الإيمان والتسليم.

وقال الشيخ الشعراني في الرسالة المباركة: وبالجملة فكثرة البحث والجدال وعدم التسليم لكل شيء لا يخرق الإجماع بل تعمي قلبَ العبد وتخرجه عن محل القُرب إلى محل الطرد.

وكان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يقول: الإنكار ركن عظيم من أركان الشرك والنفاق، لأن أصل الكفر عدم التصديق، فهو في حق النبي صلى الله عليه وسلم كفر، وفي حق التابع له صلى الله عليه وسلم نفاق، فللتابع حق كما للمتبوع حق، إذ العين *(...كذا في الأصل...)* واحدة، فالإنكار بالظن والوهم كله مذموم.

إلى أن قال: ولذلك طال الطريق إلى معرفة حضراته وحضرات أسمائه وصفاته على أهل الإنكار والجدال.

إلى أن قال: وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه يقول: ليس الكامل من الرجال من يُوَصِّل كلَّ يوم ألفًا من العوام، إنما الكاملُ من يوصل فقيهًا كثير الجدال في مائة عام.

وقال بعد كلام: والإنكار لا ينبغي إلا على شخص خرَقَ الإجماع بغير معتمد، لا سيما إن اتُّبِع على ما خَرَقَهُ، وذلك لا يقع من ولي الله أبدا ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. اهـ.

وقال الإمام أبو تراب النخشبي: إذا أَلِفَ القلبُ الإعراض عن الله صحبَته الوقيعة في أولياء الله تعالى.

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني في طبقاته: ومن كان شأنه الإنكار لا يشفع بأحد من أولياء الله تعالى في عصره، وكفى بذلك خسرانا مبينا.

وقال أيضا: وإنما كان المعْترفُ للأولياء والعلماء بتخصيص الله تعالى لهم وعنايته بهم واصطفائه لهم قليلا في الناس لغلبة الجهل بطريقهم، واستيلاء الغفلة، وكراهة غالب الناس أن يكون لأحد عليهم شَرَفٌ بمنزلةٍ أو اختصاصٍ حسدًا من عند أنفسهم. اهـ.

وفي تبيين المحارم: ومن قبائح كثير من الناس أنهم لا يوقِّرون أهلَ العلم، ولا يعرفون حقوقهم، ويُنكرون عليهم ما يرتكبون أضعافه.

وعنه صلى الله عليه وسلم أن قال: «إِذَا أَعْرَضَ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ وَرَّثَهُ الْإِنْكَارَ عَلَى أَهْلِ الدِّيَانَاتِ»، رواه ابن أبي الدنيا.

فمن أطلق لسانه في العلماء بالعيب ابتلاه الله بموت القلب، فإن أعراض العلماء وغيرهم مسمومة. اهـ.

وفي طبقات الشعراني: ولمَّا كان الأولياء والعلماء على أقدام الرسل عليهم الصلاة والسلام في التأسي بهم انقسم الناس فريقين: فريقٌ معتقد مصدِّقٌ، وفريقٌ منتقد

مكذب، كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام، ليحقق الله تعالى (نقص: بذلك ميراثهم)، فلا يصدقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا من أراد الله عز وجل أن يُلحقه بهم ولو بعد حين، وأمَّا المكذِّب لهم والمنكر عليهم فهو مطرود عن حضرتهم لا يزيده الله تعالى بذلك إلا بُعْدًا. اهـ.

وفي الإبريز: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: إن الذين ألَّفوا في كرامة الأولياء رضي الله تعالى عنهم وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء، فقد أضروا بهم كثيرا من حيث اقتصروا على ذكر الكرامات، ولم يذكروا شيئا من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات، حتى إن

الواقف على كلامهم إذا رأى كرامةً على كرامةٍ، وتصرفًا على تصرف، وكشفًا على كشف، توهَّم أن الولي لا يعجزُ في أمر يُطلب فيه، ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو ظاهرا، فيقعُ في جهل عظيم لأنه يظن أن الولي موصوفٌ بوصفٍ من (نقص: أوصاف) الربوبية، وهو أنه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز، وبوصفٍ من أوصاف النبوءة وهو العصمة. والأمر الأول من خصائص الربوبية ولم يُعطه الله لرسله الكرام، فكيف بالأولياء؟، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: «سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اثْنَتَيْنِ فَأَعْطَانِيهِمَا، وَسَأَلْتُهُ عَنِ اثْنَيْنِ فَمَنَعَنِيهِمَا،

قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، فَقُلْتُ أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، فَقَالَ قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، فَقُلْتُ أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، فَقَالَ قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، فَقُلْتُ أَعُوذُ بِوَجْهِكَ فَقَالَ سَبَقَ الْقَضَاءُ، فَقَالَ ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، فَقُلْتُ أَعُوذُ بِوَجْهِكَ فَقَالَ سَبَقَ الْقَضَاءُ».

وقال تعالى في سؤال نوح نجاة ابنه من الغرق: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾.

والناسُ اليومَ إذا رَأوا وليا دعا فلم يُستجب له، أو رأوا ولده على غير طريق، وامرأته لا تتقي الله تعالى، قالوا ليس بولي، إذ لو كان وليا لاستجاب الله دعاءه، ولو كان

وليا لأصلح أهل داره، ولا يظنون أن الولي يُصلح غيره وهو لا يقدر على إصلاح نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وأما الأمر الثاني وهو العصمة، فهو من خصائص النبوءة، والولاية لا تزاحم النبوءة.

قال رضي الله تعالى عنه: والخير الذي يظهر على يد الولي إنما هو من بركته عليه الصلاة والسلام، إذ الإيمان الذي هو السبب في ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم. أما ذات الولي، فإنها كسائر الذوات بخلاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم جُبلوا على العصمة وفُطِروا على معرفة الله تعالى وتقواه، بحيث إنهم لا

يحتاجون إلى شرع يتبعونه ولا إلى مُعَلِّم يستفيدون منه، والحقُّ الساكن في ذواتهم وحرف النبوءة الذي طبعوا عليه يسلك بهم النَّهج القويم والطريق المستقيم.

قال رضي الله تعالى عنه: ولو أن الناس الذين ألفوا في الكرامات قصدوا إلى شرح حال الولي الذي وقع التأليف فيه، فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الفانية، لَعَلِمَ الناسُ الأولياء على الحقيقة، فيعلمون أن الولي يدعو تارةً فيُستجابُ له، وتارةً لا يُستجاب له، ويريد الأمر فتارة يَقضي وتارة لا يقضي، كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ويزيد الولي بأنه تارة تظهر الطاعة على جوارحه، وتارة تظهر المخالفة عليهم

كسائر الناس، وإنما امتاز فرق الولي منهم بأمر واحد، وهو ما خصَّه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات، ومع ذلك فالمخالفة إن ظهرت عليه فإنما هي بحسب ما يظهر لنا لا في الحقيقة، لأن المشاهدة التي هو فيها تأبى المخالفة وتمنع من المعصية منعًا لا (ينتهي) إلى حد العصمة حتى تُزاحم الولايةُ النبوءةَ، فإن المنع من المعصية ذاتًا في الأنبياء وعَرضًا في الأولياء، فيمكن والهٌ؟ (زواله) في الأولياء ولا يمكن والهٌ؟ (زواله) في الأنبياء. وسِرُّه ما سبق وهو أن خير الأنبياء من ذواتهم، وخير الأولياء من غير ذواتهم. فعصمة الأنبياء ذاتية وعصمة الأولياء عرضية، فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفةٌ فهي صُوريةٌ غير حقيقية

قُصِدَ بها امتحان من شاهدها واختباره، ولذلك أسرار. فنطلبُ من الله تعالى أن يوفقنا للإيمان بأوليائه، كما وفَّقنا للإيمان بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

قال رضي الله تعالى عنه: ومن علم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في أكله وشربه، ونومه ويقظته، وجميع أحواله في بيته، وعلم سيرته في حروبه وغزواته، وكيف يُدال له مرة ويُدال عليه أخرى، وكيف يطلب منه أناس قوما من أصحابه ثم يذهبون ويغدرون بهم، كما في غزوة الرجيع وغزوة بئر معونة، وعلم ما وقع في قصة الحديبية وغيرها، ولكل ذلك أسرار ربَّانية أَطْلَعَ الله تعالى عليها نبينا صلى الله عليه وسلم، هَانَتْ عليه معرفة الأولياء، ولا يستكثر ما يراه على

ظاهرهم من الأمور الفانية والأوصاف البشرية، والله تعالى الموفق.

وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: إن الرجل قد يسمع بالولي في بلاد بعيدة، فيصوِّره في نفسه على صورة تُطابق الكرامات التي تُنقل عنه، فإذا وجده على غير تلك الصورة التي سبقت في ذهنه وقع له شكٌّ في كونه هو ذلك الولي.

وقال بعد حكاية حكاها في هذا المقام عن شيخه، قلتُ: وكم من واحد سقط من هذا السبب، فإنه إذا طالَعَ الكتب المؤلفة في كرامات الأولياء صوَّر الولي على نحو ما يسمعُ في الكتب، فإذا عرض تلك الصورة على أولياء زمانه شكَّ فيهم أجمعين، لما يُشاهد فيهم من الأوصاف التي لا تُكْتَبُ في

الكتب، ولو أنه شاهد الأولياء الذين دُوِّنت كراماتهم قبل تدوينها لَوَجَدَ فيهم من الأوصاف ما أنكره على أهل زمانه. وقد يبلغ (نقص: الجهل) بأقوام إلى إنكار الولاية عن كل موجود من أهل زمانهم، لما استحكم في عقولهم من حصر الولاية وتحقيقها بالضوابط، فإذا نزَّل تلك الضوابط على الموجود من أهل زمانه وجدها لا تُطابقه، فينفي الولاية عنه، ويصيرُ حاصله أنه يؤمن بولي كلي لا وجود له في الخارج، ولم يدر أن الولاية هي مجرد اصطفاء من الله تعالى لعبده، ولا يقدر على ضبطها مخلوق من المخلوقات.

وقد وقع لبعض الفقهاء من (نقص: أهل العصر معنا حكاية في هذا المعنى، وذلك أنه أتاني ببعض كتب القوم وهو يذكر فيه شروط

الولاية وضوابطها، وكيف ينبغي أن يكون الولي الذي يُشَيَّخ، فقال لي: أردت منكم أن تسمعوا منِّي ما ذكره هذا الكتاب في الولاية وشروط الولي. وقد فهمت إشارته، وأنه أراد الإنكار على بعض من يشار إليه بالولاية، فأراد أن يقرأ عليّ ما في ذلك الكتاب فإذا سلَّمْتُ ألزمني *(ما في باطنه)* من الإنكار والاعتراض على أولياء الله تعالى، فقلت له: لا تقرأ عليَّ ما في الكتاب حتى تجيبني عن سؤال، فإذا أجبتني عنه فاقرأ ما شئت، أخبرني عن مؤلِّف هذا الكتاب هل أحاط بخزائن الله تعالى وعطائه ومُلْكِه، *(أو)* هو كما قال الخضر لموسى عليهما السلام: ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا كما نقص هذا العصفور بنقرته من البحر، فإذا

قلتم أحاط بملك الله تعالى وخزائنه فقولوه حتى أسمَعَه منكم. فقال: معاذ الله أن نقول ذلك، فقلت: وإن قلتم هو كما قال الخضر لموسى عليهما السلام فالسكوت خير له، فإن مثاله كنملة لها غُوَيْرٌ صغير تأوي إليه وتسكنه، فخرجت منه فوجدت حبة قمح ففرحت بها وأدخلتها في مسكنها، وحملها الفرح إلى أن جعلت تصيح وتنادي: يا جميع النمل لا مأوى إلا ما عندي ولا خير إلا ما أنا فيه. فقلت له: إنها تُتعب حلقها وتوجع رأسها بلا فائدة، فإن من عِلمه من علم الله تعالى كنقرة العصفور من البحر كيف يَصِحُّ منه أن (يقطع) على المولى الكريم ويقول إنه لا يرحم هذا، ولا يفتح على هذا، وليس هذا من الأولياء، وضوابط الولاية لا تَصدق على هذا

ولا تطابقه، وإذا كان الله تعالى يرحم العبد وهو على الكفر فيعطيه الإيمان ثم يفتح عليه من ساعته، فأي قاعدة تبقى للولاية حينئذٍ، وإذا قيل لك عن السلطان الحادث العاجز المُوَلَّى على الناس إنه أغنى عبده الفلاني ومنع الحر الفلاني وخلع على اليهودي الفلاني كذا وكذا، فإنك لا تستبعده لأنك تعتقد أنه لا منازع له في ملكه، وإذا كنت تعتقد هذا في الملك الحادث فكيف تمنع الملك القديم سبحانه من ذلك بضوابطك وقواعدك، وإنك تعتقد أنه ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ وأنه ﴿غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾؟. فقال الفقيه: هذا الذي قلتم صوابٌ، واللهِ إنه لَحَقٌّ. وطوى كتابه وقال: إن قُلنا إن هؤلاء المؤلفين أحاطوا بعلم الله تعالى فبئس ما قلنا، وإن قُلنا إنهم لم يحيطوا بالنزر منه فلا

ينبغي لنا أن نحجر على الله تعالى بقواعدهم، فلو سكتوا لكان خيرًا لهم، والمهدي من هداه الله تعالى، وكم من مهدي هُدي قبل أن تكون هذه القواعد والضوابط، والله الموفق.

ووقعت لي مناظرة أخرى مع بعض الفقراء المنتسبين إلى خدمة الصالحين رضي الله تعالى عنهم، وذلك أني كنتُ أنا وهو نختلف إلى بعض الأولياء كثيرا، فلمَّا مات ذلك الولي، اختلفتُ إلى ولي آخر وبقي هو في زاوية الأول. فلقيني ذات يوم وقال: أردت نصيحتك يا فلان، فقلت: حُبًّا وكرامةً، وعلى الرأس والعين، وقد فهمتُ مراده. فقال: إنك كنت أولا مع سيدي فلان وكانت ولايته لا يشك فيها اثنان، وقد ذهبت اليوم

إلى غيره، فأنت بمثابة من ترك الجواهر واليواقيت واستبدلها بالأحجار. فقلت: أنت تتكلم عن بصيرة أو عن غير بصيرة؟ فإن كان كلامك عن بصيرة فاذكرها لنا حتى نذكر لك ما عندنا، وإن كان كلامك عن غير بصيرة فاذكر دليله. فقال لي: ظاهر مثل الشمس. فقلتُ له: فإن قال لك قائل إن كلامك هذا يبعدك من الله تعالى ويقربك من الشيطان (نقص: فقلتَ له) فما دليلك؟ فقال لك ظاهر مثل الشمس، فبم تجيبه؟. فسكتَ ولم يَدْرِ ما يقول. ثم قلت له: إني فكرتُ في دليلك وجُلْتُ بخاطري في برهانك فلم أجد لك دليلا إلا أمرا واحدا، فقال لي: وما هو؟ فقلتُ: إنك تزعم أنك شريك لله تعالى في ملكه بحيث لا يُعطي شيئا ولا يفتح على أحد إلا بإذنك،

والفتح على الرجل الذي تنكر عليه لم يقع بإذنك ولا يقدر الله تعالى على إعطائه إلا بإذنك، فمن هذا الطريق يتهيأ لك الإنكار على عباد الله الصالحين، ولو كنتَ تعتقد أن الله تعالى لا شريك له في ملكه، ولا مُنازع له في عطائه، لَسَلَّمْتَ لعباد الله تعالى ما أعطاهم ربهم عز وجل من الخيرات. فقال الفقير: إني تائب إلى الله تعالى، الحقُّ ما تقول، والله ما نحن إلا فضوليُّون وما كنا ننكر إلا بالباطل، والله سبحانه وتعالى الموفِّق.

الفصـل الثـاني في إعلامهم أنـه لا يجـوز الإنكـار على الحقيقـة إلا لمن أحـاط بجميـع شـريعة رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يحيط بها إلا الغوث الفرد الجامع.

فنقول وبالله تعالى التوفيق:

اعلم أن الإنكار لا يجوز على الحقيقة إلا لمن أحاط بالشريعة، ولا يحيط بها إلا النبي صلى الله عليه وسلم والكمَّل من ورثته كالغوث في كل زمان.

قال الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه في البحر المورود في المواثيق والعهود: أخذ علينا العهود ألَّا نمكِّن

أحدًا من أصحابنا يبادرُ إلى الإنكار على من خالف نقل بعض العلماء إلا إن أحاط علما بجميع طرق الشريعة ولم يجد ذلك الحكم فيها، وهذا عزيز وجوده، كلُّ ذلك سدًّا لباب الإنكار بغير علم، وقد روى الطبراني رحمه الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ شَرِيعَتِي جَاءَتْ عَلَى ثَلاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ طَرِيقَةً، لَيْسَ مِنْهَا طَرِيقَةٌ يَلْقَى الْعَبْدُ بِهَا رَبَّهُ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ثم قال : فإن كنت يا أخي عارفا بجميع هذه الطرق ولم تجد حكم ما أنكرته في طريقة منها فلك إنكاره، وإلا فالتسليم أولى وأفضل، والزم الأدب مع علماء الإسلام، والله تعالى أعلم. اهـ.

قلتُ: وإذا كان الإنكار على العلماء بلغ النهي عنه إلى هذا الحد، فما ظنك يا أخي بالإنكار على أهل الفتح الأكبر من أكابر العارفين والصديقين والأقطاب والأغوات.

وقال في الرسالة المباركة: فحكم المقلد مع العارف في الجدال حُكْمُ اثنين دخل أحدهما بيتًا نهارًا ورأى جميع ما فيه، والآخر لم يدخُلْهُ لكن أخبره جماعةٌ بأنَّ داخل هذا البيت كذا وكذا، وظنَّ صدقهم. فالأول الذي دخل مثال العارف، والذي لم يدخل مثال للمُقَلِّد. فالذي دخل البيت نهارًا ورأى جميع ما فيه لا يتزلزَلُ عن علمه بما يُقيمه عليه الذي لم يدخل من أدلة المخبرين الذين لم يدخل أحدٌ منهم البيتَ، ولو بلغوا حَدَّ التواتر،

لأن أحدًا لا يكذب حِسَّه. وحُكم المقلِّد معَ المقلِّد في جدالهما حكم اثنين لم يدخل واحدٌ منهما البيت، أوْ دخلاه في ظلمة أو ذهولٍ، ثم اختلفا في صفة داخل البيت، فليس واحدٌ منهما على يقين فيما يقوله في صفته. وحكم العارف مع العارف حكمُ اثنين دخل كلٌّ منهما البيتَ نهارًا معَ صحَّة عقله، ورأى جميع ما فيه، فهما متفقان لا خلاف بينهما، ولذلك لم يختلف (اثنان) قط في علمهما بالله تعالى أبدا، فافهم. فما ثم عارف مقلد لمجتهد أبدا في قوله، إذ العارفُ على يقين، والمجتهدُ على ظنٍّ، بل جميعُ ما بأيدي المجتهدين من المسائل التي فهموها من الكتاب والسنة بعضُ ما عند العارف، بدليل ما قدمناه من

علوم العارفين رضي الله تعالى عنهم أجمعين. اهـ.

قلتُ: والعلوم التي قدمها كثيرة، منها أربعمائة علم وأحد عشر علمًا اختصَّ بها العارفون، ولم يعلم أحدٌ من العلماء أسماءها فضلًا عن الخوض فيها وقلة عمله على ذكرها قوة الشفقة على المنكرين. اهـ.

وفي الإبريز: واعلم وفقك الله تعالى أن الولي المفتوح عليه يعرفُ الحقَّ والصواب، ولا يتقيد بمذهب من المذاهب، ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة، وكيف لا وهو الذي لايغيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين، ولا يخرج عن

مشاهدة الحق جل جلالة لحظة، وحينئذ فهو العارف بمراد النبي صلى الله عليه وسلم وبمراد الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها، وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه، لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه، وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ويقال إنه خالف مذهب فلان في كذا؟!

فإذا سمعت هذا، فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو: إمَّا أن يكون جاهلًا بالشريعة كما هو الواقع غالبا من أهل الإنكار، وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصير أبدًا، فاشتغالُ هذا بزوال جهله أولى به؛ وإمَّا أن يكون عالما بمذهبٍ من مذاهبها جاهلا بغيره، وهذا لا يصح منه

إنكار إلا أن يكون يعتقد أن الحق مقصور على مذهبه ولا يتجاوزه لغيره، وهذا الاعتقاد لم يَصِرْ إليه أحدٌ من المُخطئة ولا من المصوِّبة.

أما المُصَوِّبة فإنهم يعتقدون الحق في كل مذهب فهي كلها صواب، وحكم الله عندهم يتعدَّد بحسب ظن المجتهدين، فمن ظن أن الحرمة في نازلة فهي حكم الله في حقه، (نقص: ومن ظن الحلية فيها بعينها فهي حكم الله في حقه).

وأما المخطئة فحكم الله تعالى عندهم واحد لا يتعدَّد ومصيبه واحد، لكنهم لا يحصرونه في مذهب بعينه، بل يكون الحق في نازلة هو ما ذهب إليه إمام، وفي نازلة أخرى ما ذهب إليه غيره، فاشتغالُ هذا

المنكر بزوال هذا الاعتقاد الفاسد أولى به؛ وإما أن يكون عالما بالمذاهب الأربعة، وهذا لا يتأتى منه الإنكار أيضا إلا إذا كان يعتقد نفي الحق عن غيرها من مذاهب العلماء، كمذهب الثوري، والأوزاعي، وعطاء، وابن جريج، وعكرمة، ومجاهد، ومعمر، وعبد الرزاق، والبخاري، ومسلم، (نقص: وابن جرير)، وابن خزيمة، وابن المنذر، وطاوس، والنخعي، وقتادة، وغيرهم من التابعين وأتباعهم إلى مذاهب الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وهذا اعتقادٌ فاسدٌ، فاشتغاله بدوائه أولى من اشتغاله بالإنكار على أولياء الله تعالى المفتوح عليهم.

وإذا وصلتَ إلى هذا علمتَ أنه لا يسوغ الإنكار على الحقيقة إلا لمن أحاط بالشريعة،

ولا يحيطُ بها إلا النبي صلى الله عليه وسلم والكمَّل من ورثته كالأغواث في كل زمان رضي الله تعالى عنهم. (نقص: أما غيرهم) فسكوتهم خير لهم لو كانوا يعلمون. وكلامنا في الإنكار على أهل الحق من أهل الفتح، وأما أهل الضلال فلا تخفى أحوالهم على مُمَارسِهم.

وقد استأذن بعض الناس شيخه في الإنكار على الأولياء (نقص: أهل الحق من أهل الفتح)، وقال له: يا سيدي، لا أنكر عليهم إلا بميزان الشريعة، فمن وجدته مستقيما سلَّمت له، ومن وجدته مائلا أنكرتُ عليه، فقال له شيخه: أخافُ ألَّا تكون عندك الصُّروف (الصنوج؟) التي يوزن بها كلها، وإذا كان عندك بعض الصنوج دون بعض فلا يصح

ميزانك. يشير إلى ما سبق من كونه مُنكر وهو جاهلٌ.

وقد حضرتُ لبعض الناس وكانت له فطانة وحذاقة، فسمع سائلًا يسألُ وليًّا مفتوحًا عليه عن السورة التي بعد أم القرآن إذا نسيَها المصلي وترتَّب السجود القبلي عليه، ثم نسِيَه فلم يفعله حتى سلَّم وطال الحال، هل تبطلُ الصلاة بترك السجود القبلي، بناءً على أن في السورة ثلاث سنن، أو لا سجود عليه بناءً على أنه ليس فيها ثلاث سنن؟ وقد ذهب إلى الأول الشيخ الحطاب وغيره، وإلى الثاني شارح الرسالة، وطلب السائل من هذا الولي المفتوح عليه أن يُعَين له الحق عند الله تعالى.

فأجابه الولي سريعًا: الحقُّ عند الله تعالى هو أن السورة لا يُوجبُ نِسيانها سجودا أصلا، ومن سجد لها بطلت صلاته.

وكان الولي المفتوح عليه عاميا أميا، وكان السائل يعرفه ويعرف ارتقاء درجته في الفتح، فلمَّا سمع جوابه علم أنه الحق الذي لا ريب فيه، وأمَّا الذي له حذاقةٌ وفطانة فدخله شك وارتيابٌ، فقال للسائل بعد أن قاما عن الولي: إن هذا الرجل -يعني الولي- جاهل لا يعرف شيئا، انظر كيف جهل حكم الله تعالى في هذه المسألة الظاهرة وقال إن تارك السورة لا سجود عليه، وقد عدَّها ابن رشد في السُّنن المؤكدة كما عدّ فيها السر والجهر. فأجابه السائل بأن الولي المفتوح

عليه لا يتقيد بمذهب، بل يدور مع الحق أينما دار.

فقال الذي له حذاقة وكان من طلبة العلم: نحن لا نتجاوز أقوال إمامنا مالك. فأجابه السائل بأن هذا الذي قاله الولي المفتوح عليه قد رواه أشهب عن مالك كما نقله في التوضيح، فروى عن الإمام أن السورة مستحبة وليست بسنة، ثم هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه فعنده أن السورة من الهيئات التحسينية وليست من السنن، ومن سجد لها بطلت صلاته، ثم سؤالنا للولي إنما كان عن تعيين الحق (نقص: من غير تقييد) ولم يكن عن خصوص المشهور من مذهب مالك، وقد عيَّن ما سألناه عنه ووافق ذلك رواية عن مالك وهي

مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنهما، فأي تبعة (بقيت) على الولي في جوابه؟

فلمَّا قال السائل هذا القول وسمعه الذي له حذاقة انقطع ولم يدر ما يقول.

ثم قال بعد مناظرة قطع بها ظهر فقيهين كانا من المنكرين ما نصه: وهذان الفقيهان هما رأس الطبقة من أهل العصر بحيث إنهما لا يُجاريهما أحدٌ في وقتهما، وأما من دونهما من أهل الإنكار فأكثرهم يعتمدون على (التسامع) الذي لا أصل له (نقص: كما سبق)، وأكيسهم الذي يعتمد في إنكاره على قوله كنا نعرفُ سيدي فلانا ولم يكن هكذا، يعني أن الرجل المنكر عليه ليس كسيدي فلان، ولم يدر أن الزهر ألوان والنخل ﴿صِنْوَانٌ

وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ).

وقد دخلتُ مع الشيخ رضي الله تعالى عنه بستانا في فصل الربيع، فنظر إلى اختلاف أزهاره وأنواره ساعة، ثم رفع رأسه إليَّ وقال: من أراد أن يعرف اختلاف الأولياء وتباينهم في المقامات والأحوال مع كونهم على هدى وصواب وحلاوتهم في قلوب الناس، فلينظر إلى اختلاف هذه الأنوار والأزهار مع حلاوتها في القلوب، فإن كان قوله إن سيدي فلانا الذي عرفناه لم يكن هكذا حصَر الرحمةَ من الله في الولي الذي عرفه فقد حجر واسعا، ولما قال الأعرابي الذي بال في المسجد: اللهم ارحمني وارحم محمَّدا ولا ترحم معنا أحدا، قال له النبي

صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا»، وإن كان قوله ذلك ظنا منه أن كل مرحوم لا يكون إلا على مثل الولي الذي عرفه فقد سبق أنهم رضي الله تعالى عنهم على أصناف شتى، وأيضا فهو مشترك الإلزام، فإن هذا الإعتراض لازم في الولي الذي عرفه فإنه لم يكن مثل الولي الذي قبله، فإن اعترضَ على الثالث بأنه ليس مثل الثاني اعترض على الثاني بأنه ليس مثل الأول.

قال: وإنما أطلتُ الكلام في هذا الباب وذكرت هذه المناظرات التي وقعت لنا مع الفقهاء رضي الله تعالى عنهم، حرصًا على وصول الخير إلى طائفة الفقهاء وطلبة العلم، ومحبة فيهم ونصيحتي لهم، فإنهم

أقبلوا بالإنكار على السادات الأبرار الأخيار الأطهار، في سائر القرون والأعصار، (نقص: وفي جميع البوادي والقرى والأمصار)، وإنكارهم لا يخرج عن هذا الذي ذكرناه في هذا الباب، فمن كان منهم منصفًا أو تأمل ما سطَّرناه فيه رجع وظهر له ولاح وجه الصواب. وكثيرًا ما كنتُ أتعرَّض لمناظرة الفقهاء في هذا الباب ظنًّا منِّي أنهم يعتمدون في إنكارهم على أمور صحيحة، فلما اختبرتهم وجدت الأمر على ما وصفت لك، والله الهادي إلى الصواب لا رب غيره ولا خير إلا خيره ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

الفصل الثالث في تحذيرهم عن مخالفة الشيخ رضي الله تعالى عنه بعدم امتثال أوامره حاضرًا كان أو غائبًا، والاعتراض عليه سرًّا أو جهرًا.

اعلم أنه لا شيء أضر للمريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم، والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضي الله تعالى عنهم، وترك تعظيمهم واحترامهم وعدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه.

قال سيدي ابن عباد في شرحه على الحكم عند قول المصنف: «خَفْ مِنْ وُجُودِ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ وَدَوَامِ إِسَاءَتِكَ مَعَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا لَكَ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾» إلخ:

ومن مقتضياتها أيضا أن يعلق بقلبه شيءٌ من الاعتراض على المشايخ والأولياء رضي الله تعالى عنهم، وأن يترك تعظيمهم واحترامهم، وأن لا يقبل إشاراتهم فيما يشيرون به عليه، فقد قالوا: عقوق الأستاذين لا توبةَ له، وقالوا أيضا: من لا أستاذ له لا يفْلَح.

وقال أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه: من صَحِبَ شيخًا من الشيوخ ثم اعترضَ عليه بقلبه فقد نقض عهدَ الصحبة، ووجبتْ عليه التوبة، وإن بقيَ من أهل السلوك قاصدا ولم يصل إلى مقصوده فَلْيَعْلَمْ أن موجبَ حجْبِه اعتراضٌ خامر قلبه على بعض أشياخه في بعض أوقاته، فإن

الشيوخ بمنزلة السفر للمريدين. وفي الخبر: الشيخ في أهله كالنبيء في أمته. اهـ.

وفي رسالة القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: بدء كل فرقة المخالفة، يعني من خالف شيخه لم يبْق على طريقته، وانقطعت العلقة بينهما، وإن جمعتهما البقعة.

وقال بعد كلام: سمعت أحمد بن يحيى يقول: من رضيَ عنه شيخه لا يُكافَى في حال حياته لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ، فإذا مات الشيخ أظهر الله عليه ما هو جزاء رضاه، ومن تغيَّر عليه قلبُ شيخه لا يُكافَى في حال حياة ذلك الشيخ لئلا يُزيله، فإنهم مجبولون على الكرم، فإذا مات الشيخ فحينئذٍ يجد المكافاة بعده. اهـ.

وفي الرائية:

وَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ شَيْخَهُ فِي اعْتِقَادِهِ
يَظَلُّ مِنَ الْإِنْكَارِ فِي لَهَبِ الْجَمْرِ

وفي الإبريز: المعنى أن الشيخ مُصيبٌ في فعله، فيعتقد أن الصَّواب في ذلك الفعلِ، فالمريد إن اعتقد الصواب مثل اعتقاد شيخه ربحَ ونجحَ، وإن خالف شيخه في اعتقاده واعتقد أن شيخه على خطأ في ذلك، فإنه يظل من الإنكار في فراق الشيخ الذي هو كلهب الجمر.

قال محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه: ومن شروط المريد أن يعتقدَ في

شيخه أنه على شريعة من ربه وبينة منه، ولا يزن أحواله بميزانه، فقد تَصْدر من الشيخ صورة مَذْمومة في الظاهر، وهي محمودة في الباطن والحقيقة، فيجب التسليم۔ وكم من رجل أخذ كأس خمر بيده ورفعَهُ إلى فيه وقَلَبَهُ اللهُ تعالى في فيه عسلًا، والنَّاظر يراه شراب خمْر وهو ما شَرِب إلَّا عسلًا، ومثل هذا كثير۔ وقد رأينا من يُجسد روحانيته على صورة ويُقيمها في فعل من الأفعال، ويراها الحاضرون على ذلك الفعْلِ، فيقولون رأينا فلانا يفعل كذا وكذا، وهو عن ذلك الفعل بمعزل، وهذه كانت أحوال أبي عبد الله الموصلي المعروف بقضيب البان، وقد عاينَّا هذا مرارا في أشخاص. اهـ.

وقل هذا البيت:

وَمَنْ يَعْتَرِضْ وَالْعِلْمُ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ
يَرَى النَّقْصَ فِي عَيْنِ الْكَمَالِ وَلَا يَدْرِي

أي: ومن يعترض على شيخه أو على غيره من أهل الطريقة وهو جاهل، فإنه يرى الكمال نقصانا ويقلب الأمور وهو لا يدري. انتهى.

- وفي الإبريز: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول: إن الولي الكامل يتلوَّن على قلوب القاصدين ونياتهم، فمن صفت نيته رآه في عين الكمال وظهر له منه الخوارق وما يسرُّه، ومن خبثت نيته كان على الضد من

ذلك. وفي الحقيقة ما ظهر لكل أحد إلا ما في باطنه من حسن وقبح، والولي بمنزلة المرآة التي تتجلَّى فيها الصور الحسنة والصور القبيحة، فمن ظهر له من ولي كمال ودلالة على الله تعالى فليحمد الله عز وجل، ومن ظهر له غير ذلك فليرجع على نفسه.

قال رضي الله تعالى عنه: وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة، فيظنون أنه على شاكلتهم، وليس كذلك حتى إنه يتصوَّر في طور الولاية أن يقعُد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنون أنه شارب الخمر، وإنما تصوَّرت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت، وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظل

ذاته تحرَّك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة، فإنَّكَ إذا أخذت في الكلام تكلمت، وإذا أخذت في الأكل أكلت، وإذا أخذت في الشرب شربت، وإذا أخذت في الضحك ضحِكَتْ، وإذا أخذت في الحركة تحركت، وتُحاكيك في كل ما يصدر منك، وفي الحقيقة لم يصدُر منها أكل ولا غيره لأنها ظل ذاتك وليست بذاتك الحقيقة، فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الولي معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون، والله تعالى الموفق.

وقال بعد كلام: وسمعته يقول: إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاصٍ، إنما روحه حَجبت ذاتَه فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست

بمعصية، لأنها إذا أكلت حراما مثلا فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت. وسبب هذه المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين، والعياذ بالله تعالى. فإذا رأيتَ الولي الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهدْ على الحاضرين بأنَّ الله تعالى أراد بهم الخير، أو معصية فاشهد شقاوتهم. وكما أن أرواحهم هي التي تتولى كراماتهم، كذلك هي التي تتولى معاصيهم الظاهرة، والله تعالى أعلم.

🙞 الفصل الرابع في إعلامهم أنه لا بد لكل مريد صادق أن يقتصر على شيخ واحد ولا يتشوَّف إلى غيره ولا يشرك معه شيخًا آخر.

فنقول وبالله تعالى التوفيق:

اعلم أن الاقتصار على قدوة واحدة شرط لازم في طريق أهل الله تعالى، ولا بد للمريد من التزامه وإلا فلا سبيل إلى الوصول البتة إلا إن تداركته عناية ربانية بسبق محبة إلهية.

ومن هنا تعلم أنه لا ينكر على شيخ منع أصحابه وأهل طريقته من زيارة الأولياء فقط، ولا يشدِّد على ذلك الإنكار ويُبالغ فيه إلا مَن كان مِنَ الأغبياء الجهلة الذين يعتقدون أن زيارة الأولياء كلهم واجبٌ إجماعا أو في مذهب من المذاهب، ولم يعلموا أن غاية ما قيل فيها الجواز أو الاستحباب إن سلِمت من محرم أو مكروهٍ بَيِّنٍ في أصل الشرع، كاجتماع الرجال والنساء وتلك الأمور التي

تحدُث هناك، ولم يعلموا أنَّ تضليلَهم من منع أصحابه مِن زيارة الأولياء لأسرارٍ يعلمها يجرُّهم إلى الكفر، لأنهم نسبوا الأولياء والعارفين وإمام أئمة دار التنزيل مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه إلى الضلال، وكفاهم بذلك مِن الله خسرانا، إذ قد روي عن مالك أنه قال: لا يُتوسَّل بمخلوق أصلًا إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر تأسيس القواعد لسيدي أحمد زروق رضي الله تعالى عنه.

وإذا علمتَ أن الزيارة جائزة أو مستحبة، فاعلم أنه لا اعتراض على شيخٍ مَنَعَ مُريده من فِعْل مباحٍ مثلًا.

قال في البحر المورود: فإياك أن تبادر إلى اعتراضٍ على أحد منهم في أخذه العهد على مريده بأنه لا يفعل مباحًا مثلا، وتقول كيف يمنعه ما أبيح له ولغيره ونحو ذلك، فإنك في وادٍ والقوم في وادٍ آخر.

وفي مفتاح الفلاح: وللكامل أن يأخذَ ويُمسِكَ إن شاء ويُعطي إن شاء، فإنه مع ما يُلقي الله تعالى إليه في الحكم كصورة التلميذ لشيخه، فكما لا يُعترَضُ على التلميذ في الفعل الذي يأمره به شيخه، كذلك لا يُعترض على الشيخ فيما يفعله بإذن عن الله عز وجل إذا كان شيخا حقيقيًّا. اهـ.

وقال الساحلي في بغية السالك: وأما التلميذ فيشترط فيه شروط وتترتب له حقوق.

أما شروطه فأربعة:

الأول: التزام أهل (عهد؟) القدوة في ربط النفس للوفاء بوظائف السلوك جُهده ووُسع طاقته، ومن لا عُهدة له لا تلميذ له.

الثاني: أن يجعل دنياه تبعًا لآخرته، ومَنْ عرَف ما يطلُب هان عليه ما يترك، بصدق عزم ، وقوة جد، وصحة قصد، وإخلاص يقين، ابتغاءَ مرضاة الله تعالى في طلب خلاصه من نفسه، وطمعا في الوصول إلى معرفة ربه، وقبيح لمن أراد الله تعالى وقصد المعرفة به أن يثني عنانه لغيره.

الثالث: أن يحصل عنده العلم اليقيني يفرق ما بين قدره وقدوته، فليُضِف كل كمال لقدوته، وكل نقص لنفسه.

الرابع: الاقتصارُ على قدوة واحد، وهل الانقياد للقدوة إلا كالانقياد للطبيب؟ ولا شك أن العلاج إذا اختلف والمعاني (والمعاناة؟) إذا تباينت أن الخلاص من العلل متعذر، ومن استند إلى قدوة فهو القيم بالسياسة في تأديبه وتهذيبه، وهو أدرك بذلك من غيره، مع أن القدوة الكامل ربما تعذَّر وجودُه اليوم فضلا من أن يكون منهم عدد. فإذا ظفر التلميذُ بواحدٍ منهم فليعلم أنه قد ظفر بمراده، فلا يَبْغي به بدلا، ومهما مال عن قدوته بظاهره أو باطنه ولو لحظة (لمحة؟) فإن ذلك وبالٌ عليه ونقصانٌ له، وإن صحبتَه

لا تصفو له، ولا يستعد باطنُه لسِراية حال القدوة فيه. فإن التلميذ كلما أيقن بتفرُّد الشيخ بالمشيخة عَرف فضله وقَويت محبّته، والمحبة هي الواسطة بين القدوة والتلميذ، فعلى قدْر حُسْن ظنه به تكون محبته، وعلى قدر محبته تكون سراية حال الشيخ عنده. فالمحبة علامة التعارف الحسِّي الداعي إلى التآلف المعنوي، وبالله تعالى التوفيق. اهـ.

وفي الرائية:

وَلَا تُقَدِّمَنْ قَبْلَ اعْتِقَادِكَ أَنَّهُ
مُرَبٍّ وَلَا أَوْلَى بِهَا مِنْهُ فِي الْعَصْرِ
فَإِنَّ رَقِيبَ الإِلْتِفَاتِ لِغَيْرِهِ
يَقُولُ لِمَحْبُوبِ السِّرَايَةِ لَا تَسْرِي

وفي الإبريز:

قال الشيخ: ولا تقدمن على الشيخ بقصد الدخول في محبته حتى تعتقد أنه من أهل التربية، وأنه لا أصفى منه بها في زمانه. وإنما وجب عليه ذلك لأن الشيخ الذي يرى من مريده الإلتفات إلى شيخ غيره يقطع عنه المادة. والمريد الذي يدخل في صحبة شيخ وهو يرى أن في الوجود شيخا مثل شيخه وأكمل منه، يبقى متشوِّفًا إلى ذلك الأكمل في اعتقاده، (نقص: فيراه شيخه متشوفا إليه) فيقطع عنه المادة، فلا يكون (نقص: منتفعا) بالأول ولا بالثاني. وقد رأينا مثل هذا كثيرا في زماننا، والله يكون لنا وليا ونصيرا. انتهى.

وفي شرح قوله: «وَلَا تَعْرِفَنْ فِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ غَيْرَهُ»:

ووقع لبعض أصحابه رضي الله تعالى عنه ما هو أقوى من هذا، وذلك أنه أحس بأنه بمنع زيارة الصالحين قبل أن يعرف الشيخ بمدة تقرب من سبع سنين، فحصل له قنط (وظن أن ذلك شقاوة) وقساوة حتى جاء إلى بعض من يظن فيه الخير وقال له: يا سيدي إن زيارة الصالحين تثقل عليّ، فقال له: أنت الذي تثقل عليهم، فزاده قنطا على قنطه. ثم قصد رجلا آخر يظن فيه الخير، فشكا إليه ذلك، فقال له: إن الولي قد يكون في حضرة الحق سبحانه فلا تكون روحه بأفنية القبور، وقد لا يكون في الحضرة فتكون روحه بأفنية القبور، فلعلَّك إذا جئت (إلى) ضريحه تجده

في الحضرة فلا تكون روحه في قبره، حتى يحصل لك أنس به، وتحصل لك وحشة ويثقل عليك الحال. فخفَّ عليه الأمر بهذا الكلام، إلا أنه قال: إن كنت كلما جئت وليًّا أزوره لا أجد روحه بفناء قبره فهذا عرق من الشقاوة، فبقي إلى الآن لم يزر. فلما جمعه الله تبارك وتعالى مع الشيخ رضي الله عنه لم يكن عنده أهم من أن يسأله عن هذا الأمر، فقال: يا سيدي إن زيارة الصالحين تثقل علي كثيرا، وقد شكوت إلى سيدي فلان فقال كيت وكيت، (نقص: وإلى سيدي فلان فقال لي كيت وكيت)، فما تقولون أنتم؟ فقال الشيخ رضي الله تعالى عنه وقد نظر إلى مشموم من الورد في حانوت فقال: إن صاحب هذا المشموم إن أعطاه لكل أحد يقلبه ويمسه

بيده فإنه يفسد ويحصل له ذبول ويبس، فالصواب في حقه والأليق به أن يمنعه من كل أحد. قال: (فعلمت أني) ممنوع من زيارة غير الشيخ رضي الله تعالى عنه قبل أن أعرفه بسنين.

قلتُ: وشيء يمنع الشيوخ تلاميذتهم من فعله قبل أن يعرفوهم فلا ينكر على منعه بعد المعرفة إلا جاهل أو شقي جره الحسد والحرمان إلى الإنكار.

ثم قال: وقعت حكاية أخرى، وهي أن رجلا من أصحابه رضي الله تعالى عنه كان يعتقد الخير في بعض السادات، وكان يحبه كثيرا ويزوره غالبا، وله في صحبته ما يقرب

من سبع سنين حتى خامرت محبته شعره وبشره وعظمه ولحمه، حتى ملأت ذاته من قرنه إلى إبهامه، وكان يحلف بعد وفاة ذلك الشيخ أنه لا يعرف غيره أبدا لأنه كان يعتقد أنه لا نظير له. قال: فجمعني الله تعالى مع الشيخ رضي الله عنه وبقيت معه ساعة، فما قمت من عنده حتى زالت تلك المحبة المتعلقة بذلك الميت بأسرها، وذهبت من سائر جسده شراشرها، ولم يقدر من تلك الساعة على زيارة ذلك الشيخ في قبره أبدا. فسأل الشيخ رضي الله عنه فقال: يا سيدي، رأيت عجبا، كنت أحب سيدي فلانا محبة لا تكيَّف ولا توصف، وكنت أجزم بأن غيره لا يحل محلَّه أبدا، فلما جالستُك ساعة زال ذلك كله، والفرض أن ذلك الشيخ لم يتعرض له

في تلك الساعة ولا جرى له ذكر ولا تكلمنا في الأسباب التي تمحو محبته. فقال له رضي الله عنه: ذلك الشيخ صادق وولي من أولياء الله تعالى، وأنت في محبتك له صادق، ولكن المحبة التي بينكما ليس لها أصل تنزل عليه. ثم ضرب له مثلا فقال له: كطفل صغير له أب، ففرق الله تعالى بينه وبين أبيه، فالتقطه رجل آخر وجعل يربيه، فكبر الولد ولا يرى غير الرجل الذي يربيه، فصار يقول له أبي ويحن له كما يحن (نقص: الولد) إلى أبيه، حتى بقي عنده نحوَ سبع سنين، ثم جاء أبوه الذي هو من صلبه، فوجد الولد جالسا بفناء دار الرجل الذي يربيه، فوقف أمامه ساعة ثم مرَّ عنه، فإن عروق ذلك الولد تذهب كلها مع أبيه (نقص: الذي هو) من

صلبه ولا يبقى شيء منها مع الرجل المربي له، فلا يحل أحد في قلبه محل أبيه من صلبه، وإن كان قبل ذلك يظن أن الرجل المربي هو أبوه. قال: فمحا والله بهذا المثال ما بقي في قلبي من رشوحات تلك المحبة وقطعها. اهـ.

وكنت أتكلم معه ذات يوم ونحن في جزاء ابن عامر بمحروسة فاس أمنها الله تعالى، فقال لي: إن سيدي منصورا في رأس الدرب، أتحب أن تلتقي معه وتعرفه؟ فقلت: يا سيدي نعم وحُبًّا وكرامة، وكيف لا أحب أن ألتقي مع القطب؟ فقال رضي الله تعالى عنه: أما أنا فلو قدَّرنا أن أباك وأمك ولدا من يماثلك في شكلك وصفتك وعلمك وجميع ما عليه ذاتك باطنا وظاهرا عدد مائة، ما نظرت

إلى واحد منهم، أنت حظي وقسمتي، وهم عندي كسائر الناس.

فاستيقظتُ من غفلتي، وانتبهتُ من نومتي، وعلمت أني ما جئت بشيء، فإن المحبة لا تقبل الشركة، والله تعالى أعلم. اهـ.

وفي البحر المورود لسيدي عبد الوهاب الشعراني: أخذ علينا العهود ألا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره به من الخير إلا إن كنا نعلم منه يقينا أنه لا يقدم علينا في المحبة أحدا من الخلق مطلقا حتى أهله وولده وراثة نبوية لا استقلالا. واعلم أنه لولا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للمحبة الناصحة مدخلا في حصول الهداية

والانقياد بسرعة دون بطء ما قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَـدُكُمْ حَتَّى أَكُـونَ أَحَبَّ إِلَيْـهِ مِنْ أَهْلِـهِ وَوَلَـدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». ومن المعلوم أن جميع الدعاة إلى الله تعالى من هذه الأمة إنما هم نواب له صلى الله عليه وسلم، فلهم من الأدب معهم والمحبة لهم بحكم الإرث نحو ما كان له صلى الله عليه وسلم، وذلك ليحصل للمريد كمال الانقياد، ويعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. وأما إذا علم الشيخ من المريد تقديم أحد عليه في المحبة نفض يده منه.

ومن كلام العارف بالله سيدي عدي بن مسافر أحد أركان الطريق قدس الله تعالى

سره: اعلم أنك لا تنتفعُ قط بشيخٍ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله، وهناك يجمعك في حضوره، ويحفظك في مغيبه، ويهذبك بأخلاقه، ويؤيدك بأطرافه (ويؤدبك بإطراقه؟)، وينور باطنك بإشراقه، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفا لم تشهد منه شيئا من ذلك، بل تنعكس ظلمة باطنك فتشهد صفاته هي صفاتك، لا تنتفع منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء.

وقد ذكر سيدي علي بن وفا رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بالوصايا: اعلم أن قلوب الرجال أمثال الجبال، فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله تعالى الواحد القهار كما قال عز وجل: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ

هَدًّا، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾، فكذلك قلوب الرجال سيما الولي لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته معه من إشراك أحدٍ معه في المحبة، لا يزيله إلا ذلك لا تقصر خدمة ولا غير ذلك، فافهم.

وقال الإمام القشيري في رسالته: وإن لم يتجرد المريد عن كل علاقة فلا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الأذكار.

وقال الشيخ سيدي زين الدين الخوافي أحد أركان أئمة الطريقة الجنيدية في كتابه الوصايا: السابع ربطُ القلب بالشيخ بالاعتماد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم، ويكون في اعتقاده أن هذا المظهر

هو الذي عينه عنده الحق سبحانه وتعالى للإفاضة عليه، ولا يحصل له الفيضُ إلا بواسطته دون غيره، ولو كانت الدنيا مملوة بالمشايخ.

ومتى ما يكون في باطن المريد تطلُّعٌ إلى غير شيخه لم ينفتح باطنه إلى الحضرة الواحدية، فالإنسان في الجهات وله بدن وروح، والله سبحانه وتعالى منزه عن الجهات، فحكمته اقتضت لاستفاضة مَن في الجهة عن الفيَّاض الحق الذي ليس في الجهة أنْ عيَّن للبدن الإنساني المركب من الكثرات الكثيرة جهة واحدة يكون توجهه من تلك الجهة الواحدة إلى الحضرة الواحدية وهي الكعبة في عالم الأجسام والأبدان، وعيَّن الروح الإنساني الذي هو مهبط أنوار

الصفات الإلهية جهة واحدة يكون من تلك الجهة توجهه إلى الله تعالى، وتلك الجهة هي نورانية رسول الله صلى الله عليه وسلم في عالم الأرواح، فكما لا يقبل الصلاة إلا بالتوجه إلى الكعبة كذلك لا يحصل التوجه إلى الله تعالى إلا باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتسليم له وربط القلب بنبوءته، وأنه هو الواسطة بينه وبين الله تعالى دون غيره من الأنبياء، وأنهم وإن كانوا أنبياء الله تعالى وكلهم على الحق ولكن لا يحصل من الله تعالى فيض إلا من ارتباط القلب بمحمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبتوجُّه البدن إلى الجهة الواحدة وتوجُّه الروح إلى الجهة الواحدة، حصل للإنسان استعدادُ الإفاضة عليه من الحضرة الواحدية.

ومن هنا يُعرف أن المناسبة بين المفيض والمستفيض فيما يتعلق بالاستفاضة شرط.

وقد ورد في بعض الأحاديث على ما أثبته المشايخُ في كتبهم، أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته، فلا بد للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه، ويتحقَّق أن الفيض لا يجيء إلا بواسطته، وإن كان الأولياء كلهم هادين مهديين يعتقد كلهم، ويدعو لهم، لكن استمداده الخاص واستفاضتُه يكون من روحانية شيخه وحده، ويعلم أن استمداده (نقص: من شيخه استمداد) من النبي صلى الله عليه وسلم، فإن شيخه مُتعلق مستمد من شيخه، وشيخه من شيخه أيضا، هكذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مستمد بالحقيقة من رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو من الحق جل اسمه ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. فربط القلب بالشيخ أصل كبير في الاستفاضة، بل هو أصل الأصول، ولهذا بالغ المشايخ قدس الله أرواحهم في رعاية هذا الشرط. اهـ.

وإلى هذا يشير كلام الشيخ رضي الله تعالى عنه في جواهر المعاني حيث قال:

ومن الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو ألَّا يشارك في محبته غيره، ولا في تعظيمه، ولا في الاستمداد منه، ولا في الانقطاع إليه بقلبه. ويتأمَّل ذلك في شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن من ساوى رتبة نبيه صلى الله عليه وسلم مع رتبة غيره من النبيئين والمرسلين في المحبة والتعظيم

والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع، فهو عنوان على أنه يموت كافرا إلا أن تداركه عناية ربانية بسبق محبة إلهية.

فإذا عرفت هذا، فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب، فلا يساوي به غيره في هذه الأمور ولا يشرك غيره. اهـ.

قلتُ: وبما قدمناه من كلام السادات الأولياء يعلم كل من له أدنى علم ومعرفة أنه لا ينكر على الأولياء في أمرهم المريد بالاقتصار على قدوة واحدة ونهيهم من انتسب إلى طريقهم عن زيارة الأولياء إلا من لا خلاق له في طريق أهل الله تعالى، بل ولا

يُنكر عليهم ذلك إلا من لم تبلغ قراءته باب الصيام في مختصر خليل، وإن بلغه فقد نادى على نفسه بالجهل وقلة الفهم على رؤوس الأشهاد، حيث لم يفهم قوله: «وَفِي النَّفْلِ بِالْعَمْدِ الْحَرَامِ وَلَوْ بِطَلَاقٍ بَتَّ إلَّا لِوَجْهٍ كَوَالِدٍ وَشَيْخٍ»، ولم يعلم أن المراد بالشيخ شيخٌ في الطريق أخذ المريد على نفسه العهد أنه لا يخالفه، وألحق بعضهم به شيخ العلم الشرعي، انظر شرح الدردير.

حكى القشيري في رسالته: أن شقيقًا البلخي وأبا ترابٍ النخشبي قَدِمَا على أبي يزيد، وقُدِّمَتْ السُّفرة وشاب يخدم أبا يزيد، فقال له شقيق: كُلْ معنا يا فتى، فقال: أنا صائم، فقال أبو تراب: كُلْ ولك أجرُ صوم

شهر، فأبى، فقال شقيق: كُلْ ولك أجر صوم سنة، فأبى، فقال أبو يزيد: دَعُوا من سقط من عين الله تعالى، فأُخِذَ الشاب بعد مدة وقُطِعت يده بسرقة. اهـ.

وإذا كان الشيخ في الطريق إذا أمر مريدا شرع في صوم تطوعًا صار إتمامه واجبًا عليه في بعض المذاهب أن يفطر فإنه يتعين عليه الفطر عند أهل الطريق قاطبة، ويجوز عند علماء الظاهر، ويكون رابحا، وإن أبى خسر وخاب وافتضح، فما ظنُّك إذا منَعَهُ عن فِعْلِ أمْرٍ غايتُه الجواز أو الاستحباب؟!.

ومع هذا كله فإن ساداتِنا الأولياء لم يكن فيهم واحد منعَ الناسَ كلهم من الزيارة منع تحريم ولا كراهة، وحاشاهم من ذلك، وإنما

كلامهم معَ المنتسبين إليهم ومن أراد الانتسابَ، وما منعوا المنتسبين إليهم أيضا من الزيارة مطلقًا بل من زيارة الأولياء فقط. مع أنهم ما نهوا وما أمروا إلا عن إذن ومشاهدة لأنهم أهل صدق ولا ينطقون إلا بما يشاهدون ويأخذون عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحكام الخاصة للخاصة لا مدخل فيها للعامة، لأنه كان صلى الله عليه وسلم يُلقي الأحكام العامة للعامة في حياته إذا حرَّم شيئا حرَّمه على الجميع، وإذا فرض شيئا فرضه على الجميع، وهكذا سائر الأحكام الشرعية، فلما انتقل إلى الدار الآخرة وهو كحياته صلى الله عليه وسلم سواء صار يُلقي إلى أمته الأمر الخاص للخاص ولا مدخل للأمر العام للعام فإنه

انقطع بموته صلى الله عليه وسلم، وسيأتي أن أولياء أمته يجتمعون معه يقظة ويأخذون عنه العلم في فصله إن شاء الله تعالى.

وإذا فهمت هذا، فاعلم أن شيخنا رضي الله تعالى عنه وعنا به زيادة على ما تقدَّم وهو أن محبه وحبيبه وجده سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم قال له يقظة لا مناما:

«لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق، فأنا واسطتك وممدك على التحقيق، فاترك عنك جميع ما أخذت من الطرق»، إلى أن قال له صلى الله عليه وسلم: «واترك عنك جميع الأولياء».

وقال رضي الله تعالى عنه: «قال له (لي؟) صلى الله عليه وسلم: مسأله غفل عنها الشيوخ وهي أن كل من عرف شيخا وزار غيره لا ينتفع به ولا بغيره أصلا».

وقال رضي الله تعالى عنه: «قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: إذا مرَّ أصحابك بأصحابي فَلْيَزُوروهم فقط، وأمَّا غيرهم من الاولياء فلا».

ولمنعهم من زيارة الأولياء أسرار، منها:

-أنه قال رضي الله تعالى عنه: «أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة تسمى جوهرة الكمال، كل من ذكرها اثني عشر مرة وقال: هذه هدية مِنّي إليك يا رسول الله، فكأنما زاره في قبرة، يعني في روضته الشريفة، وكأنما زار أولياء الله والصالحين من أول الوجود إلى وقته».

ولعظم ما ذكره في أمرها وعظم أمرها أمره صلى الله عليه وسلم أن ينهى أصحابه عن زيارة الأولياء الأموات والأحياء، وكل من زار واحدا من الأولياء من أصحابه ينسلخ عن طريقته.

-ومنها ما ذكره في جواهر المعاني، وهو قوله رضي الله تعالى عنه وعنا به: «ومن أكبر القواطع عن الله تعالى أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه، لأن تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقي في المقامات كل نور منها يَحِنُّ إلى مركزه، وهي الحضرة الإلهية التي منها (نقص: برز) وفيها نشأ، فلكل شيخ من أهل الله تعالى حضرة لا يشترك فيها مع غيره، فإذا ورد منها نور بأمر

من الأمور التي ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية، اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محله. وصورة ذلك في نسب الحكمة الإلهية، أن الله تعالى قضى في كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه، قال تعالى: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ)، فمن نسب نورًا إلى غير محله من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب في حضرة الحق وكذب على الله تعالى، والحضرة لا تحتمل الكذب فلذا يُطرد ويُسْلَب والعياذ بالله». انتهى.

-ومنها: ما تقدم.

-ومنها: ما لا يكتب.

‹‹ وفيما سطرناه كفاية لكل سعيد موفق، فأما غيره فكما قال فيه مولانا جل

جلاله: (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، وبالله تعالى التوفيق.

 الفصل الخامس في الترغيب في الاجتماع للذكر والجهر به، والحض عليه، وكونه مما ينبغي التمسك به لفضله.

فنقول وبالله التوفيق:

اعلم أن الاجتماع للذكر حض عليه الشارع ورغب فيه صلى الله عليه وسلم،

وجرى به عمل أئمة الطريق من أهل الله تعالى شرقا وغربا.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ للهِ تَعَالَى مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مَا يَقُولُونَ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ لَا، قَالَ: فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا لَكَ أَشَدَّ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا، قَالَ: فَيَقُولُ فَمَا سَأَلُونِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ سَأَلُوكَ الْجَنَّةَ، قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ

رَأَوْهَـا كَـانُوا أَشَـدَّ (نقص: عَلَيْهَـا) حِرْصًـا وَأَشَـدَّ لَهَـا طَلَبًـا وَأَعْظَمَ فِيهَـا رَغْبَـةً، قَـالَ: فَمِمَّ يَتَعَـوَّذُونَ؟ قَـالَ: يَتَعَـوَّذُونَ مِنْ النَّارِ، قَـالَ: فَيَقُـولُ وَهَـلْ رَأَوْهَـا؟ قَـالَ: فَيَقُولُـونَ لَا وَاللهِ مَـا رَأَوْهَا، قَالَ: فَيَقُولُ كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ مِنْهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَـدْ غَفَـرْتُ لَهُمْ، قَـالَ: فَيَقُـولُ مَلَـكٌ مِنْ الْمَلَائِكَـةِ فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». رواه البخاري واللفظ له.

ومسلم ولفظه: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً (فُضُلًا) يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَـا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّـمَاءِ (الـدُّنْيَا)، فَإِذَا تَفَرَّقُـوا عَرَجُـوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُـونَ جِئْنَـا مِنْ عِنْـدِ (عِبَـادٍ لَـكَ) فِي

الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: (وَمَاذَا) يَسْأَلُونِي؟ (قَالُوا): يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا لَا أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا (زيادة: يَا رَبِّ)، قَالَ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: (فَيَقُولُونَ) رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ وَلَهُ غَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

وعن معاوية رضي الله تعالى عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا

لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»، رواه مسلم والترمذي والنسائي.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ، قِيلَ: مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ». رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهم.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيَ

الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَعَالَوْا نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً، فَقَالَ ذَلِكَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ، فَغَضِبَ الرَّجُلُ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يَرْغَبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ سَاعَةٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ تَعَالَى ابْنَ رَوَاحَةَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلَائِكَةُ» رواه أحمد بإسناد حسن.

وَعَنْهُ أَيْضًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ» رواه أحمد، ورواته محتج بهم في الصحيح إلا

ميمون المرئي، وأبو يعلى والبزار والطبراني، ورواه البيهقي من حديث عبد الله بن مغفل، ورواه الطبراني عن سُهَيْلُ بْنُ حَنْظَلَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ (مَجْلِسًا) يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ: قُومُوا قَدْ غَفَرَتْ اللهُ تَعَالَى لَكُمْ، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ».

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ أيضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سَيَّارَةً مِنَ الْمَلائِكَةِ يَطْلُبُونَ حَلَقَ الذِّكْرِ، فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ، ثُمَّ بَعَثُوا رَائِدَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى رَبِّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَتَيْنَا عَلَى عِبَادٍ مِنْ عِبَادِكَ يُعَظِّمُونَ آلاءَكَ وَيَتْلُونَ كِتَابَكَ وَيُصَلُّونَ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْأَلُونَكَ لآخِرَتِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (نقص: غَشُّوهُمْ

رَحْمَتِي، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَّاءَ إِنَّمَا اعْتَنَقَهُمُ اعْتِنَاقًا، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (غَشُّوهُمْ رَحْمَتِي)، فَهُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ. رواه البزار.

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَا إِنَّكُمُ الْمَلأُ الَّذِينَ أَمَرَنِي اللهُ تَعَالَى أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) إِلَى قَوْلِهِ: (فُرُطًا). أَمَا إِنَّهُ مَا جَلَسَ عِدَّتُكُمْ إِلَّا جَلَسَ مَعَهُمْ عِدَّتُهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِنْ سَبَّحُوا اللهَ تَعَالَى سَبَّحُوهُ، وَإِنْ حَمِدُوا اللهَ تَعَالَى حَمِدُوهُ، وَإِنْ كَبَّرُوا اللهَ تَعَالَى كَبَّرُوهُ، ثُمَّ يَصْعَدُونَ إِلَى الرَّبِّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا عِبَادُكَ سَبَّحُوكَ فَسَبَّحْنَا، وَكَبَّرُوكَ فَكَبَّرْنَا،

وَحَمِـدُوكَ فَحَمِـدْنَاهُ، فَيَقُـولُ: يَـا مَلَائِكَتِي، أُشْـهِدُكُمْ أَنِّي قَـدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ فِيهِمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ الْخَطَّاءُ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». رواه الطبراني في الصغير.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟ قَالَ: «غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الْجَنَّةُ» رواه أحمد بإسناد حسن.

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سَرَايَا مِنَ الْمَلائِكَـةِ تَحِـلُّ وَتَقِـفُ عَلَى مَجَـالِسِ (نقص: الـذِّكْرِ) فِي الأَرْضِ، فَارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، قَالُوا: وَأَيْنَ رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟

قَـالَ: مَجَـالِسُ الـذِّكْرِ، فَاغْـدُوا وَرُوحُـوا فِي ذِكْـرِ اللَّهِ تَعَـالَى وَاذْكُرُوهُ بِأَنْفُسِكُمْ، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْـدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْـدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ» رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم صحيح الإسناد. المرتع: هو الأكل والشرب في خصب وسعة.

وعن ابن عنبسة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ رِجَالٌ لَيْسُـوا بِأَنْبِيَـاءَ وَلَا شُـهَدَاءَ يَغْشَـى بَيَـاضُ وُجُـوهِهِمْ نَظَـرَ النَّاظِرِينَ، يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ لِمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ، قِيـلَ يَارَسُـولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَـالَ: هُمْ جُمَّاعٌ مِنْ نَـوَازِعِ الْقَبَائِلِ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فَيَنْتَقُونَ أَطَايِبَ

الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْر أَطَايِبَهُ» رواه الطبراني وإسناده مقارب لا بأس به.

جُمَّاع: بضم الجيم وتشديد الميم أي أخلاط من قبائل شتى ومواضع مختلفة.

ونوازع: جمع نازع وهو القريب ومعناه أنهم لم يجتمعوا لقرابة بينهم ولا نسب ولا مقربة وإنما اجتمعوا لذكر الله تعالى لا غير.

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيَبْعَثَنَّ اللهُ تَعَالَى أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّور عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ». قَالَ: فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْهُمْ لَنَا نَعْرِفْهُمْ، قَالَ: «هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي

اللهِ تَعَالَى مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى وَبِلَادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى يَذْكُرُونَهُ». رواه الطبراني بإسناد حسن.

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ قَالَ حِلَقُ الذِّكْرِ» برواية الذكر.

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً».

قال سيدي ابن عطاء الله في مفتاح الفلاح:

الفصل الأول

فيما ورد في فضل الذكر والاجتماع عليه

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا

نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ (عَنْهُ) حَدِيثًا مِنِّي وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ» أخرجه مسلم والترمذي.

وأخرجه النسائي قال: ثم حدثنا فقال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ تَعَالَى وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ (زيادة: وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وَعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْأَغَرِّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ» أخرجه مسلم والترمذي.

وعن الإمام أحمد: روي عن أبن مسعود قال: إِنَّ الشَّيْطَانَ طَافَ بِأَهْلِ مَجْلِسِ الذِّكْرِ

(نقص: لِيَفْتِنَهُمْ) فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَأَتَى حَلْقَةً يَذْكُرُونَ الدُّنْيَا فَأَغْرَى بَيْنَهُمْ حَتَّى اقْتَتَلُوا، فَقَامَ أَهْلُ الذِّكْرِ فَحَجَزُوا بَيْنَهُمْ فَتَفَرَّقُوا.

قلتُ: وإنما أوردت هذه الأحاديث التي أوردها ابن عطاء الله بتمامها مع تقدم ذكر بعضها لإعلام المعترضين على المجتمعين للذكر مع صحتها واستدلال أكابر الفحول بها، أنهم كابروا عقولهم وعاندوا أكابر صواب أئمتهم.

ثم قال ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه:

باب الجهر بالذكر

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ».

وفي رواية عوض الثالثة: «وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» أخرجه الترمذي.

وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ» وذكر الحديث إلى قوله: «قَدِيرٌ» ثم قال: «كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ».

وفي البخاري عن أبي معبد مولى ابن عباس: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ (نقص: حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنْ الْمَكْتُوبَةِ) كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُنْتُ أَعْلَمُ إِذَا انْصَرَفُوا (نقص: بِذَلِكَ إِذَا سَمِعْتُهُ).

وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْته فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ».

ويروى أن الصديق كان يُخَافِتُ في صلاته بالليل ولا يرفعُ صوتَه بالقراءة، وكان عمر يَجهر في صلاته، فسأل رسول الله صلى لله عليه وسلم أبا بكر عن فعله فقال: الذي أناجيه يسمع كلامي، وسأل عمر فقال: أوقظ

الوسنان وأطرد الشيطان وأرضي الرحمن. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر برفع الصوت وهو الجهر، ولم يأمر عمر ولم يأمر عمر (نقص: بالإسرار بل) بخفض الصوت، وذلك ليس بالإسرار. وإذا كان هذا في القرآن وهو أفضل الذكر، فغيره كذلك بل أولى.

وينبغي للذاكر إذا كان وحده إن كان من الخاصة أن يخفض صوته بالذكر، وإن كان مع العامة يجهر به، وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة.

قال بعضهم: مثل ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة كمثل مؤذن واحد ومؤذنين جماعة،

فكما أن أصوات المؤذنين جماعة يقطع جرم الهواء أكثر مما يقطعه صوت مؤذن واحد، كذلك ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا وأشد قوة في رفع الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده. وأيضا يحصل لكل واحد ثواب نفسه وثواب سماع الذكر من غيره. وشبّه الله تعالى القلوب القاسية بالحجارة في قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) والحجارة لا تنكسر إلا بقوة، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بالذكر القوي. اهـ.

وفي شهية السماع: ومنه، يعني ومن الآداب الفرار من الإسرار في الذكر. اهـ.

وفي شرحه: وذلك لأن الذكر مع الإسرار لا يؤثر في قلب السالك ولا يرقيه كذكر الجهر.

ومن كلامهم: إذا ذكر المريد ربه بشدة وعزم مع الجهر طُويت له مقامات الطريق بسرعة من غير بطء، فربما قطع في ساعة ما لم يقطعه غيره في شهر أو أكثر، لكن ينبغي أن يكون الجهر برفق، فإنه إذا كان بغير رفق ربما ـــــ؟ بالباطن فيتعطل جهره بالكلية. اهـ.

وسئل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى عن ما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ورفع الصوت بالتهليل، وهل ذلك مكروه أم لا؟

فأجابه: لا كراهة في شيء من ذلك، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب (نقص: الجهر بالذكر وأحاديث تقتضي باستحباب) الإسرار به، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي بذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار لها.

ثم قال بعد أن أورد ما أورد من الأحاديث الواردة باستحباب الجهر: إذا تأملت ما أوردناه من الاحاديث عرفتَ من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر. وأما معارضته بحديث: «خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ» فهو نظير معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث: «الْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرّ بِالصَّدَقَةِ»، وقد جمع النووي

بينهما بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام؛ والجهر أفضل في غير ذلك لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين، ويُوقظ قلب القارئ، ويجمع همه إلى الحضور، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط.

قال: وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القرآن والإسرار ببعضه، لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر، والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار. وقال: وكذلك تقول في الذاكر على هذا التفصيل، وبه ويحصل الجمع بين الأحاديث.

قال: فإن قلت قد قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾، وقد فُسر الاعتداء بالجهر في الدعاء.

فالجواب في الآية الأولى من ثلاثة أوجه:

أحدها ما ذكره السادات الصوفية أن الأمر في الآية خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم الكامل المكمل، وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة فمأمور الجهر لأنه أشد تأثيرا في دفعهما.

والجواب في الآية الثانية من وجهين:

أحدهما أن الراجح في تفسير الاعتداء أن يُجاوز المأمور به ويخترع دعوة لا أصل بها في الشرع.

الثاني على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لا في الذكر، والدعاء بخصوصه

الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة. اهـ كلامه، يعني السيوطي.

ثم قال: ومن كلام سيدي علي الخواص: ينبغي للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر فإنه أشد تأثيرا في جمع شتات قلبه، وينبغي له أيضا أن يذكر مع الجماعة ، فإن ذكر الجماعة أشد تأثيرا في رفع الحجب، لكون الحق تعالى شبَّهَ القلوب بالحجارة، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة مجتمعين، كذلك القلب لا ينكسر إلا بقوة جماعة مجتمعين على قلب واحد، لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد. وأما من حيث الثواب فلكل واحد ثواب نفسه وثواب سماع رفقته. اهـ.

وقال سيدي أحمد زروق في تأسيس القواعد: إعطاء الحكم في العموم لا يقتضي جريانه في الخصوص فاحتيج في الخاص لدليل يخصه حتى يختص به، ومن ذلك الجهر بالذكر والدعاء، والجمع فيهما ولهما. فأما الذكر فدليله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْته فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ»، قيل: ومن أدلته ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾. وقال ابن عباس: ما كنت أعرف انصراف الناس من الصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالذكر، رواه البخاري.

والجهر بذلك في الأعياد وفي أدبار الصلاة وبالثغور وفي الأسفار حتى قال عليه الصلاة والسلام: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا».

وقد جهر عليه الصلاة والسلام بأذكار وأدعية في مواطن جمة، وكذلك السلف، وصح قوله جوابا لأهل الخندق: «اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ»، وكل هذه دالة على الجهر والجمع، لكن في قضايا خاصة وجودُها مستندٌ لا دليل لاحتمال قصرها على ما وقعت فيه وكونها مقصودة لغيرها لا لذاتها، فلزم تمهيد أصل آخر. قاعدة. ثم ساق الكلام إلى أن ذكر ما يدل على الجمع والجهر بالخصوص. إلى أن قال: فأما الجمع للذكر ففي المتفق عليه من حديث أبي هريرة: «إِنَّ للهِ تَعَالَى مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ حِلَقَ الذِّكْرِ» الحديث، وفي آخره قال لهم ربهم: «مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» الحديث،

وهو صريح في ندب الجمع لعين الذكر بالترغيب في سياقه، وهو ما وقع في آخره من أن فيهم من ليس منهم فيقول تعالى: «هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»، فأخذ منه جواز قصد الإجتماع لعين الذكر بوجه لا يسوغ تأويله، كحديث «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ مَجْلِسًا يَـذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَـالَى فِيـهِ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَـةُ وَنَـزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ». والذكر تُؤول بالعلم مرة وبذكر الآلاء أخرى، وحُمل على ظاهره أيضا فسقط التمسك به في أعيان الأذكار لدلالته عل ما تُؤول به لاحتماله.

فإن قيل: يجتمعون وكلٌّ على ذكره.

فالجواب: إن كان سرًّا فجدواه غير ظاهرة، وإن كان جهرًا وكل على ذكره فلا

يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لا يسوغُ في حديث الناس فضلًا عن ذكر الله تعالى، فلزم ندبه بشرطه. نعم وتأويلُ التسبيح والتحميد والتمجيد بالتذكر بالتوحيد من أبعد البعيد، فتأويله غير مقبول لبعده عن الأفكار حتى لا يخطر بالأخطار.

ثمَّ قال بعد كلام: للزمان حكم يخصه، بحيث يخصص مباحه بندب أو منع أو كراهة أو وجوب، ويرد مندوبه ومباحه لمنع أو كراهة. كل ذلك إذا كان كل منهما (مؤديا) لما يعطاه حكمه من دليل آخر يقتضيه، والقول بمنع الجمع للذكر وكراهته في هذه الأزمنة من ذلك، كمنع النساء من الخروج إلى المساجد ونحوه، مما هو ممنوع لما عرض فيه وبه لا لذاته، إذ أصل الشريعة إباحته أو

ندبه. والناس في ذلك مذهبان: فَمَن يقول بسد الذرائع يمنع جميع الصور لصورة واحدة، وهو مذهب مالك رحمه الله تعالى؛ وَمَنْ لا يقول به إنما يمنع ما يقع على الوجه الممنوع، وهو مذهب الشافعي وغيره.

ولما تكلم سيدي أبو عبد الله بن عباد رحمه الله تعالى على مسألة الحزب قال: إنه من روائح الدين التي يتعيَّن التمسك بها لذهاب حقائق الديانة في هذه الأزمنة، وإن كان بدعة فهو مما اختلف فيه، وغاية القول فيه الكراهة فصح العمل به على قول من يقول به.

قال زروق: قلتُ: وقد يلحق الذكر به في بعض الأماكن والأوقات بشرطه. ولعل

الشارع إنما قصد بترغيبه من بعد الصدر الأول لاحتياجهم له.

فأما قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لقوم وجدهم يذكرون الله جماعة: لقد جئتم ببدعة ظلمًا، أو لقد فقتم أصحاب محمد علمًا.

فالجواب عنه أنه لم يبلغه حديث الترغيب فيه، أو أنه أنكر الهيئة ونحوها، وإلا فلا يصلح إنكاره بهذا الوجه بعد صحة الحديث، والله تعالى أعلم.

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني في البحر المورود في المواثيق والعهود: أخذ علينا العهود أن نكون هينين لينين في يد إخواننا المسلمين، ما لم يدعونا إلى مذموم

شرعا. وفي الحديث الوارد في تسوية الصفوف: «وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ». واعلم يا أخي أن من جملة اللين أنك إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة أو العجم أو الشاذلية أو الرفاعية أو غيرهم أن تذكر كأحدهم في النغمة والصوت، ولا تخالفهم فتشوش عليهم، ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر. اهـ.

وقال: أخذ علينا العهود أن نبسط لكل من تعرف بنا من بساط التشوق إلى طريق الفقراء وإلى محبة ذكر الله تعالى صباحا ومساءً ليلا ونهارا، فإن أحبَّ ذلك وواظب عليه قربناه وعددناه من جملة الأصحاب، وإن لم يُجب إلى ذلك بأن استثقل جلوسه معنا في مجالس الذكر ونحوها وتعلل بالنوم مثلا

عددناه من معارفنا لا من أصحابنا، وذلك لأن الصاحب شرطه أن يشرب من مسقاة صاحبه مع ارتفاع الحاجز بين قلبه وبين صاحبه كما يرتفع الحاجز بين الحوضين ويصير حوضا واحدا وماءً واحدا. اهـ.

وقال: أخذ علينا العهود ، إلى أن قال: وينبغي للشيخ معاتبة كل من غاب من الفقراء عن صلاة الجماعة أو عن مجلس الذكر ولو بالنوم في البيت بحجة الوفاء بحقِّ العيال. وإذا كان الفقراء في مجلس وِرْدهم فلا ينبغي لأحدهم الإنصراف إلا بإشارة شيخ المجلس (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ)، (نقص: ومجلس الذكر) أمر جامع بيقين. اهـ.

وقال: أخذ علينا العهود إذا كنا سببا في جمع الناس على مجلس ذكر أو قراءة قرآن أو نحو ذلك ولم نحضر فتعطل المجلس من حضور الناس أو تخلف عنه ناس أن نقضيه بذكر الله تعالى فنقرأ القرآن أو نصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عدد ما كان يفعله أهل المجلس لو حضروا. اهـ.

وقال: أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بتعظيم الذاكرين لله تعالى والذاكرات من نسبتهم إلى مُجالستهم الحق عز وجل حال ذكرهم في قوله تعالى: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي» أي أنا معه ومن كان الحق تعالى معه لا ينبغي لمن له دين أن يتعرض له بالأذى أو ينوي له سوءا في وقت من الأوقات، وهذا الأمر وإن كان واجبا في حق جميع المسلمين فهو في

حق الذاكر أشد وجوبا، وما رأينا أحدا آذى الفقراء والصالحين أو أنكر عليهم بغير طريق شرعي ومات على نعت استقامةٍ أبدًا، وفي الحديث القدسي: «مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْمُحَارَبَةِ». اهـ.

وعلامة الولي الذي لا شك فيه أن يكون مُكثرا لذكر الله تعالى، ويؤيده قولُ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى: الذكر منشور الولاية فمن وُفِّقَ للذكر فقد أُعطى منشور الولاية. اهـ.

فَعُلِمَ أنه لا ينبغي لأحد أن يمنع الذاكرين من رفع الصوت بالذكر في المساجد ونحوها إلا بطريق شرعي يسوغُ له الإنكار فيها، كأن يشوش على نائمٍ أو مصلٍ أو مطالع في علم

شرعي ونحو ذلك، ويتفقَّد المانع لهم نفسه، والله بكل شيء عليم. اهـ.

وفي شرح آخر أقرب المسالك: وورد ليس أحد أبغض إلى الله تعالى ممن كره الذكر والذاكرين.

وقال بعد كلام: وقد ورد ما يدل على عظم فضل الذَّاكر والذِّكر وبُغض الله تعالى من يبغض الذاكرين.

وقال بعد كلام: ما عاداني أحد مثل من عادى الذاكرين، فنعوذ بالله من بغض أهل الله تعالى المشغولين بذكره. وبالضرورة من يذكر المنعم عليك الرءوف الرحيم فإنك تحبه، ولا يبغض ذاكره إلا اللئيم الشقي، وكيف يكره من في قلبه إيمان ذاكرَ الكلمة

الطيّبة، والكلم الطيب، والقول السديد، والقول الصواب، وكلمة التقوى، ودعوة الحق؟!.

قلتُ: ولنا في هذا المقام من كلام الرجال ما لا يسعه إلا تأليف مستقل، وفي هذا القدر كفاية لكل موفق ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

وإنما أطنبت بعض الإطناب شفقة على المنكرين من الإخوان لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الإنكار على الأولياء، مع أن الولي المفتوح عليه لا يتقيد بمذهب من مذاهب المجتهدين فضلا عن أن ينكر عليه مقلد ويقول إن هذا حرام أو مكروه في

مذهب فلان، وفي ضوء الشموع على المجموع: ذكروا عند قول الشيخ خليل رضي الله تعالى عنه «فحكم بقول مقلده» أن هذا ليس متفقا عليه حتى قيل ليس مقلده رسولا أرسل إليه، والله تعالى الموفق للصواب. انتهى.

▯ الفصـل السـادس في منـع اسـتغراب المقامـات والكمـالات الـتي أعطاهـا الله تعـالى أوليـاءه، على وجـه النفي بمجـرد العقـل من غـير نظـر أن نيـل تلـك الفضـائل والكمالات جائزٌ شرعًا وعقلًا، والمولى غني كريم مختار قادر.

اعلم أن الله الرحمن الرحيم الوهاب الفتاح الكريم الغني القادر ذا الفضل العظيم تفضل على خواص هذه الأمة بكمالات ومقامات لا يعلمها أكابر الفحول، ولا تكيفها الأفكار والعقول، ولا يستغربها على وجه الجحود إلا من لم يُقدَّر له الوصول، ولا

يُنكرها إلا شقي مطرود جهول، لأن من علم سعة فضل الله تعالى واطَّلع على شيء يسير من مراتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الأولياء الكمل يرثونه بفضل الله تعالى لا ينكر على الوارث الكامل ـــ؟ ما كان للموروث من الفضل، إذ من المعلوم به المقطوع أن كمال التابع على قدر كمال المتبوع.

قال في البحر المورود في المواثيق والعهود:

أخذ علينا العهود ألا نكذب الصالحين إذا أخبرونا عن أنفسهم أنه وقع لهم شيء تحيله عقولنا ما لم يعارض النصوص الشرعية، وذلك أن غاية الواحد منهم أنه أخبرنا عن

القدرة الإلهية أنها فعلت مُمكنا لا غير، والله على كل شيء قدير.

قال: أخذ علينا العهود ونرجو من فضل ربنا الوفاء أن نرى نفوسنا دون كل جليس من المسلمين، ولو بلغ ذلك المسلم في النقص ما بلغ، فنرى نفوسنا دونه.

وذكر علامات المتخلق به إلى أن قال: ومن علامات المتخلق به أيضا كثرة تسليمه للخلق في كل ما يدعونه من مراتب الكمال، ويقول إن أهل الأرض يعرفون أخبار من في السماء أي الأدنى بعيد عن الإحاطة (بحال؟) الأعلى. اهـ.

وقال أبو المواهب التونسي: احذروا من قولكم ذهب الأكابر والصادقون من الفقراء، فإنهم ما ذهبوا حقيقة وإنما هم ككنز صاحب الجدار، وقد يعطي الله تعالى من جاء في آخر الزمان ما حجبه عن أهل العصر الأول، فإن الله تعالى قد أعطى سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم ما لم يُعْطِ الأنبياء قبله، ثم قدمه في المدح عليهم.

وقال السيوطي في تنوير الحلك:

قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال: إنني علمتُ يقينا أن الصوفية هم السالكون بطرق الله تعالى، وأن سيرهم أحسن السير، وطرقهم أحسن

الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جُمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليُغيروا شيئا من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظواهرهم وبواطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوءة، وليس وراء نور النبوءة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة، ماذا يقول القائلون في طريقة أول شروطها تطهيرُ القلب بالكلية عمَّا سوى الله تعالى، ومفتاحُها الجاري (نقص: منها مجرى التحريم من الصلاة) استغراق القلب (نقص: بالكلية) بذكر الله تعالى، وآخرها الفناء بالكلية بالله؟! وهذا آخرها بالإضافة

إلى ما لا يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها. وأول الطريقة على التحقيق المشاهدة وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه.

إلى أن قال: فتراهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد. (نقص: ثم) يترقَّى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطيق. اهـ.

ومما ينكره من لا خلاق لهم في العلم رؤية أرباب الأحوال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وحضوره صلى الله عليه

وسلم كل مجلس أو مكان أراده، والذي أدَّاه إلى هذا الإنكار اعتقادهم أنه صلى الله عليه وسلم ميت كسائر الأموات الذين لا تصرف لهم أصلا، نعوذ بالله تعالى من هذا الاعتقاد الفاسد.

قال جلال الدين السيوطي في تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم والملك:

قد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، وأن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك وتعجبوا منه وادَّعوا أنه مستحيل، فألفت هذه الكراسة

في ذلك، ونبدأ بالحديث الصحيح الوارد في ذلك:

أخرج البخاري ومسلم وأبو داوود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»؛ وأخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله، وحديث أبي بكرة؛ وأخرج الدارمي مثله من حديث أبي قتادة.

قال العلماء: اختلف في معنى قوله «فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ»:

فقيل معناه فسيراني في القيامة، وتعقب بأنه لا فائدة في التخصيص لأن كل أمته يرونه يوم القيامة من رآه منهم ومن لم يره.

وقيل المراد منه من آمن به في حياته ولم يرَه لكونه حينئذ غائبًا فيكون مُبشرا له أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته.

وقال قوم هو على ظاهره، فمن رآه في النوم فلا بد أن يراه في اليقظة بعيني رأسه، وقيل بعين في قلبه، حكاهما القاضي أبو بكر بن العربي.

وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة في تعليقه على الأحاديث التي انتقاها من البخاري:

هذا الحديث يدل على أن من رآه صلى الله عليه وسلم في النوم فسيراه في اليقظة، وهل هذا على عمومه في حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم؟ (أو هذا كان في حياته؟ وهل ذلك لكل من رآه مطلقا أو خاص بمن فيه الأهلية والاتباع لسنته عليه السلام؟

اللفظ يعطى العموم، ومن يدعي الخصوص فيه بغير مخصص منه صلى الله عليه وسلم فمتعسفٌ.

وقال: وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه، وقال على ما أعطاه عقله وكيف يكون من قد مات يراه الحي في عالم المشاهدة؟.

قال: وفي هذا القول من المحذور وجهان خطيران: أحدهما عدم التصديق بقول الصادق عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى؛ والثاني الجهل بقدرة القادر وتعجيزها كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة كيف قال الله تعالى: (اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا)، وقصة إبراهيم عليه السلام في الأربع من الطير، وقصة عزير. فالذي جعل ضرب الميت ببعض البقرة سببا لحياته، وجعل دعاء إبراهيم سببا لإحياء الطيور، وجعل تعجب عزير سببا لموته وموت حماره ثم لإحيائهما بعد مائة سنة، قادرٌ أن يجعل رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم سببا لرؤيته في اليقظة.

وقد ذكر عن بعض الصحابة أظنه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه رأى النبي

صلى الله عليه وسلم في النوم فتذكر هذا الحديث وبقي يفكر فيه، حتى دخل على بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أظنها ميمونة فقصَّ عليها القصة، فقامت وأخرجت له مرآته صلى الله عليه وسلم. قال رضي الله تعالى عنه: فنظرتُ في المرآة فرأيتُ صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم أَرَ لنفسي صورة.

قال: وقد ذُكر عن السلف والخلف وهلم جرا عن جماعة ممن كانوا رأوه صلى الله عليه وسلم في النوم، وكانوا ممن يصدقون بهذا الحديث فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين، فأخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها، فجاء الأمر كذلك...

(ناقص من المخطوط صفحة 49 وصفحة 50، فتابعت نقل الفقرة من كتاب: تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك):

...بلا زيادة ولا نقص.

قال: والمنكر لهذا لا يخلو: إما أن يصدق بكرامات الأولياء، أو يكذب بها. فإن كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه، فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة؛ وإن كان مصدقا بها فهذه من ذلك القبيل، لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلوي والسفلي عديدة فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك. انتهى كلام ابن أبي جمرة.

تابع ص51:

...أيضا في ترجمة الشيخ خليفة النهر ملكي كان كثير الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يقول إن أكثر (أفعاله متلقاة) بأمر منه إما يقظة وإما مناما، ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة قال له في أحداهن: «يا خليفة لا تضجر مني».

وقال الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصي في كتاب الوحيد: من أصحاب الشيخ أبي يحيى أبو عبد الله الأسواني المقيم بأخميم، كان يُخبر أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ساعة، حتى لا تكاد ساعة إلا ويخبر عنه.

وقال في الوحيد أيضا: كان للشيخ أبي العباس المرسي وصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ردَّ عليه السلام ويجاوبه إذا تحدث معه.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن: قال رجل للشيخ أبي العباس المرسي: يا سيدي صَافِحْنِي بكفِّكَ هذه فإنك لقيتَ رجالا، فقال: والله ما صافحتُ بكفي هذه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته، والشيخ (عبد الغفار في الوحيد): حُكي عن الشيخ أبي الحسن الوناني قال:

أخبرني الشيخ أبو العباس الطنجي قال: وردت على سيدي أحمد بن الرفاعي فقال لي: ما أنا شيخك إنما شيخك عبد الرحيم بقنا رُحْ إليه. فسافرت إلى قنا فدخلتُ على الشيخ عبد الرحيم، قال: أعرفتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلتُ: لا، قال: رح إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرحتُ إلى بيت المقدس فحين وضعت رجلي وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجعتُ إلى الشيخ فقال لي: عرفتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم، قال: الآن كملت طريقتك لم تكن الأقطابُ أقطابًا ولا الأوتاد أوتادا ولا

الأولياء أولياء إلا بمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما.

وقال الشيخ صفي الدين: رأيتُ الشيخ الكبير الجليل أبا عبد الله القرطبي أجل أصحاب الشيخ القرشي، وكان أكثر إقامته بالمدينة النبوية، وكان له بالنبي صلى الله عليه وسلم وصلة وأجوبة ورد للسلام، حَمَّلَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة للملك الكامل، وتوجه بها إلى مصر وأداها وعاد إلى المدينة.

وقال اليافعي في روض الرياحين: أخبرني بعضهم أنه يرى حول الكعبة الملائكة والأنبياء والأولياء، وأكثر ما يراهم ليلة الجمعة

وليلة الإثنين وليلة الخميس وَعَدَّ لي جماعة كثيرة من الأنبياء، وذكر أنه يرى كل واحد منهم في موضع معين يجلس فيه حول الكعبة، ويجلس حوله أتباعه من أهله وقرابته وأصحابه، وذكر أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يجتمع عليه من الأولياء خلق لا يُحصي عددهم إلا الله تعالى، ولم يجتمع على سائر الأنبياء كذلك، وذكر أن إبراهيم وأولاده يجلسون بقرب باب الكعبة بحذاء مقامه الشريف المعروف، وموسى وجماعة من الأنبياء بين الركنين اليمانيين، وعيسى وجماعة منهم في جهة الحجر، ورأى نبينا صلى الله عليه وسلم جالسا عند الركن اليماني مع أهل بيته وأصحابه وأولياء أمته.

وحُكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه، فروى ذلك الفقيه حديثا، فقال له الولي: هذا الحديث باطل، فقال له الفقيه: ومن أين لك هذا؟ فقال: هذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك يقول إني لم أقل هذا الحديث، وكُشف للفقيه فرآه.

وفي كتاب المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية لابن فارس قال: سمعتُ سيدي عليًّا رضي الله تعالى عنه يقول: كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن عل رجل يقال له الشيخ يعقوب، فأتيتُه يومًا فرأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وعليه قميص أبيض قطن، ثم رأيت القميص

عليَّ، فقال لي: «إقرأ»، فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح، ثم غاب عني. فلما بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمتُ لصلاة الصبح بالقرافة فرأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني وقال لي: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت. اهـ.

وفي بعض المجاميع: حج سيدي أحمد الرفاعي فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد شعره:

في حالةِ البُعْدِ رُوحِي كنتُ أرْسلها
تُقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه نوبةُ الأشباح قد حضَرَتْ

فامدُدْ يمينَك كي تحظَى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة (نقص: من القبر) فقبَّلها.

ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم بعدما قُبضوا، وأُذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي.

وقد ألف البيهقي جزءا في حياة الأنبياء، وقال في دلائل النبوة: الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء.

وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي: المتكلمون المحققون من أصحابنا أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حي بعد وفاته، وأنه يستبْشِر بطاعة أمته ويحزن بمعاصي (نقص: العصاة) منهم، وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته.

وقال: إن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئا. وقد مات موسى في زمانه وأخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أنه رآه في (نقص: قبره مصليا. وذكر في حديث المعراج أنه رآه في) السماء الرابعة ورأى آدم وإبراهيم، وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا نبينا صلى الله عليه وسلم قد صار حيا بعد وفاته وهو على نبوءته.

وقال القرطبي في التذكرة في حديث الصعقة نقلًا عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على هذا أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى، وقد صحَّ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء، ورأى موسى قائما يصلي في قبره، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يرد السلام على كل من يسلم عليه، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنَّا (نقص: بحيث) لا ندركهم وإن كانوا

موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد إلا من خصه الله تعالى بكرامته. اهـ.

وأخرج أو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ».

وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَا يُتْرَكُونَ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، (وَلَكِنَّهُمْ) يُصَلُّونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ».

وروى سفيان الثوري في الجامع قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يُرفع.

قال البيهقي: فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله تعالى.

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن أبي المقدام عن سعيد بن المسيب قال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوما، وأبو المقدام ثابت بن هرمز الكوفي شيخ صالح.

وأخرج ابن حبان في تاريخه، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، عن أنس

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمُوتُ وَيُقِيمُ فِي قَبْرِهِ إِلا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا».

وقال إمام الحرمين في النهاية، ثم الرافعي في الشرح: روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَنَا أَكْرَمُ عَلَى رَبِّي مِنْ أَنْ يَتْرُكَنِي فِي الْقَبْرِ ثَلَاثًا»، زاد إمام الحرمين وروي: أَكْثَرُ مِنْ يَوْمَيْنِ.

وذكر أبو الحسن بن (الزاغوني) الحنبلي في بعض تصانيفه حديثا: «إِنَّ اللهَ لَا يَتْرُكُ نَبِيًّا فِي قَبْرِهِ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ يَوْمٍ».

وقال الإمام بدر الدين بن الصاحب في تذكرته:

فصل في حياته صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ.

وقد دلَّ على ذلك تصريح الشارع وإيماؤه، ومن القرآن قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فَرِحِينَ)، فهذه الحالة وهي الحياة في البرزخ بعد الموت حاصلة لآحاد الأمة من الشهداء، وحالهم أعلى وأفضل ممَّن لم تكن له هذه الرتبة (نقص: لا سيما في البرزخ، ولا تكون رتبة أحد من الأمة أعلى من رتبة النبي صلى الله عليه وسلم، بل إنما حصلت لهم هذه الرتبة) بتزكيته وتبعيته، (نقص: وأيضا فإنما) استحقوا هذه الرتبة بالشهادة والشهادة حاصلة للنبي صلى الله عليه وسلم على أتم الوجوه، قال عليه الصلاة والسلام: «مَرَرْتُ

عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»، وهذا صريحٌ في إثبات الحياة لموسى فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائما، ومثل هذا لا توصف به الروح وإنما يوصف به الجسد، وفي تخصيصه بالقبر دليلٌ على هذا، لأنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر، فإن أحدًا لم يقل إن أرواح الأنبياء مسجونة في القبر مع الأجساد وأرواح الشهداء والمؤمنين في الجنة.

وفي حديث ابن عباس: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: وَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّلْبِيَةِ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي». (نقص: قَالَ) ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ،

(نقص: فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: هَرْشَى أَوْ لِفْتٌ، فَقَالَ) «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ (نقص: خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفُ خُلْبَةٌ) مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا».

وسُئِل هنا كيف ذكر حجهم وتلبيتهم وهم أموات وهم في الدار الأخرى وليست دار عمل؟

وأجيب بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا بما استطاعوا، وأنهم وإن كانوا في الأخرى فإنهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها واعقبتها الأخرى التي هي دار الجزاء انقطع العمل.

هذا لفظ القاضي عياض رضي الله عنه، فإذا كان القاضي عياض يقول إنهم يحجون بأجسادهم ويفارقون قبورهم، فكيف يستنكر مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم لقبره؟!. اهـ.

فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو في هيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته ورأى هيئته التي هو عليها، لا

مانع من ذلك، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال .

انتهى ما أردنا نقله من كلام السيوطي ملخصا.

وإذا عرفت جميع ما قدمنا عرفت أن حضور النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم بأجسادهم وأرواحهم عند قراءة جوهرة الكمال وعند قراءة أي ذكر وعند أي مجلس أو مكان أراد، ولا (نقص: ينكره إلا) الطلبة الجهلة الأغبياء، لا مهدي إلا من هداه الله.

الفصل السابع في فضل شيخنا رضي الله تعالى عنه، وبيان أنه هو خَتْمُ الأولياء، وسيدُ العارفين، وإمامُ الصديقين، ومُمِدُّ الأقطاب والأغواث، وأنه هو القطبُ المكتوم، والبرزخُ المخْتُوم، الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيث لا يتلقى أحد من الأولياء من كبر شأنه ومن صغر فيضا من حضرة نبيء إلا بواسطته رضي الله تعالى عنه، بحيث لا يشعر به ذلك الولي.

وحيث كان الأمر هكذا يا أخي فإياك والإنكار على مثل هذا السيد العظيم، فإنا ما

قدمنا لك الفصول التي ذكرنا فيها ما على المنكرين وأطنبنا فيها إلا نصيحة لك وتحذيرا من أن تكون مع الهالكين بالانقياد، إن لم تكن مع الرابحين بالاعتقاد، فسلِّم تسلم.

ثم اعلم أن أفراد الأحباب (الأقطاب؟) والأغواث والصديقين يعلمون أن مقام خاتم الأولياء يفوق جميع مقامات الولاية، ولم يكن فوقه إلا مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك الخاتم هو سيد الأولياء وممدُّهم وإن لم يعلموا عينه، حتى ظن بعض الكمَّل أنه هو.

قال الشيخ محيي الدين ابن العربي الحاتمي رضي الله تعالى عنه: فكل نبيء من

لدن آدم إلى آخر نبيء ما منهم أحد يأخذ النبوءة إلا من مشكاة خاتم النبيئين، وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنِ الْمَاءِ وَالطِّينِ»، وفي شرحه: لم يكمل بدنه العنصري بعد فكيف من دونه من أنبياء أولاده. وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما خلق النور المحمدي كما أشار صلى الله عليه وسلم بقوله: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى نُورِي»، جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جمعًا أحديا قبل التفصيل في الوجود العيني، وذلك في مرتبة العقل الأول، ثم تعيَّنَت الأرواح في مرتبة اللوح المحفوظ الذي هو النفس الكلية وتميزت بمظاهرها النورية، فبعث الله تعالى الحقيقة المحمدية الروحية النورية إليهم نبيئًا

يُنبئهم عن الحقيقة الأحدية الجمعية الكمالية. فلما وُجدت الصور الطبيعية العلوية من العرش والكرسي ووُجدت صور بظاهر تلك الأرواح ظهرت تلك البعثة المحمدية إليهم ثانيا، فآمن من الأرواح من كان (نقص: مؤهلا) للإيمان بتلك الأحدية الجمعية الكمالية. ولما وُجِدَت الصور الطبيعية العُنصرية ظهر حكم ذلك الإيمان في كمال النفوس البشرية فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. فمعنى قوله: كنت نبيئا: أنه كان نبيئا بالفعل عالِما بنبوءته.

ثم قال الحاتمي: وغيره من الأنبياء ما كان نبيئا، قال الشارح: ما كان نبيئا بالفعل ولا عالما (نقص: بنبوءته). ثم قال الحاتمي: إلا حين بُعث، قال الشارح: بعد وجوده ببدنه

العنصري واستكماله شرائط النبوءة. فاندفع بذلك ما يُقال من أن كل واحد بهذه المثابة من حيث أنه كان نبيئا في علم الله تعالى السابق على وجوده العيني صورة وآدم بين الماء والطين.

وكذلك خاتم الولاية كان وليًّا بالفعل عالما بولايته وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلا بعد تحصيله شروط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف بها، من أجل كون الله تَسمَّى بالولي الحميد. وخاتم الأولياء هو الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهِد للمراتب، العارف باستحقاق أصحابها، ليُعطي كل ذي حق حقه، وهو حسنة من حسنات سيد المرسلين مُحَمَّدٍ

صلى الله عليه وسلم مقدم الجماعة. اهـ كلام الحاتمي رضي الله تعالى عنه.

وفي بعض أجوبة العارف بالله الشيخ علي الخواص للشيخ عبد الوهاب الشعراني مانصه: فهو السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم في جميع العالم روحانية وجسما، فكما أنه هو الملك الأعظم في جميع الأجسام كذلك الحكم في روحانيته في عالم الأرواح، إذ روحانيته ممدة لسائر أرواح العالم من ناطق وصامت، فهو أب جميع الروحانيات كما أن آدم أب جميع الجسمانيات، وقد أخبرنا أنه كان نبيا وآدم بين الماء والطين. يعني كان نبيا بالفعل عالما بنبوته. قال: وغيره من الأنبياء ما كان نبيا بالفعل ولا عالما بنبوته.

قال الحاتمي: إلا حين بعث. قال شارحه: بعد وجوده ببدنه العنصري واستكماله شرائط النبوءة. فاندفع بذلك ما يقال من أن كل واحد بهذه المثابة من حيث إنه كان نبيا في علم الله تعالى السابق على وجوده العيني وصورة آدم بين الماء والطين.

وكذلك خاتم الأولياء كان وليا بالفعل عالما بولايته وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلا بعد تحصيله شروط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف بها من أجل كون الله تسمى بالولي الحميد. وخاتم الأولياء هو الولي الوارث، الآخذ عن الأصل، المشاهد للمراتب، العارف باستحقاقها، ليعطي كل ذي حق حقه، وهو حسنة من حسنات سيد

المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مقدم الجماعة. اهـ كلام الحاتمي رضي الله عنه.

ثم إن أكابر الأولياء ما زالوا يخبرون عن فضل القطب المكتوم، ويشيرون إليه، ويتحدثون به في كل مجمع من جموعهم، ويتمنى كل واحد منهم أن يكون هو، حتى رأى الحاتمي رضي الله تعالى عنه في المنام رؤيا ظن بها أنه هو. قال في الفتوحات أنه رأى حائطا من ذهب أو فضة وكمل إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب والأخرى من فضة، فانطبع رضي الله تعالى عنه في موضع تينك اللبنتين.

وقال رضي الله تعالى عنه: وكنت لا أشك أني أنا الرائي، ولا أني أنا المنطبع في موضعهما، وبي كمُل الحائط، ثم عبرت الرؤيا

بختم الولاية وذكرتُها للمشايخ الكاملين المعاصرين وما قلتُ مَنِ الرائي، فعبَّروها بما عبرته به. اهـ.

ولذلك نتعرض للتكلم على الأخلاق الإلهية.

قال الحكيم الترمذي: لا يعلمها كما هي عليه إلا خاتم الأولياء، ولكنه ما تكلم إلا على ظواهرها فقط، لأنه من جواهر الأقطاب ومن أفراد الأحباب، وهم لا يغترفون إلا من ظواهرها كما سيأتي.

وبعد ذلك صرَّح بأنه لم يكن هو القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، والخاتم المحمدي

المعلوم. وذلك أنه رضي الله تعالى عنه رأى مقاما فاق مقامات الأقطاب كلها، ما فوقه إلا مقامات الأنبياء عليهم السلام، فظنَّ أنه له، واطمأنَّت نفسه به غايةَ الاطمئنان والفرح، وأنشد:

بِنَا خَتَمَ اللهُ الْوِلَايَةَ فَانْتَهَتْ
إِلَيْنَا فَلَا خِتْمٌ يَكُونُ مِنْ بَعْدِي
وَمَا فَازَ بِالْخِتْمِ الَّذِي لِمُحَمَّدٍ
مِنْ أُمَّتِهِ وَالْعِلْمِ إِلَّا أَنَا وَحْدِي

فبينما هو كذلك إذ سمع مناديا يقول له: ليس لك ما ظننتَ وتمنَّيْتَ، وإنما هو لولي في آخر الزمان ليس وليٌّ أكرمَ على الله منه. فعند ذلك قال: سَلَّمْتُ الأمور إلى

خالقها ومكونها، ولقد طال ما جلت ببصيرتي في الغيوب لِأَطَّلع عليه وعلى مقامه، واسمه واسم بلده ومكانه، وكيف حاله، فما أَطْلعني الله تعالى على شيء، ولا شَممت له رائحة أصلا.

وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا، سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه فإنه قال: «أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنني أنا القطب المكتوم منه إليَّ مشافهةً يقظةً لا منامًا» فقيل له: وما معنى المكتوم؟ فقال رضي الله تعالى عنه: «هو الذي كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيئين إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبحاله، وهو الذي

حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها، وأكبرُ من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن لله تعالى ثلاثمائة خُلُقٍ من تخلَّق بواحد منها أدخله الله تعالى الجنة»، وما اجتمعت في نبي ولا ولي قبله إلا في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وأما الأقطاب الذين بعده حتى الحجة العظمى ابن العربي الحاتمي فإنما يعلمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين، وبي ختم الله تعالى الأقطاب المجتمعة فيهم أخلاق الألوهية والربوبية، وهذه الأخلاق لا يعرفها إلا من ذاقها، ولا تُدرك بالوصف ولا يعرف ما فيها إلا بالذوق».

وقال رضي الله عنه: «ما كشف الله لأحد من الأنبياء والأولياء عن بواطنها وأسرارها وعلومها وخباياها إلا لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وأنا معه حمدا وشكرا لله، وأما غيرنا فيعلم ظواهرها فقط».

قلتُ: ولا يستغرب هذا وينكره إلا أحد رجلين: حاسد معاند، أو جاهل بفضل الله الكريم الذي يُعطي التابع لأجل المتبوع الذي يكون الإذن له في الدخول إذنا في التابع.

قال في لطائف المنن في هذه الآية ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾: سمعتُ شيخنا أبا العباس يقول: وفي معناه أو ولي أو صديق، وذلك لأن السلطان مثلا إذا أذن لوزيره أن يدخل عليه ربما دخل بعضُ مماليك الوزير معه،

وكان الإذن لمتبوعهم إذنا لهم، كذلك الولي إذا أطلعه الله تعالى على غيب فإنما ذلك لانطوائه في جاه النبوءة وقيامه بصدق المتابعة، فما رأى ذلك بنفسه وإنما رأى بنور متبوعه.

وقال الغزالي: في الكلام حذفٌ يدل عليه الشرع والمشاهدة الضرورية، وهو إلا من ارتضى من رسول أي ومن اتبعه باستقامة، وشواهد الشرع كثيرة جدا تُعجزُ المتأول وتُبهتُ المعاند. اهـ.

وما ذكرتُ لك يا أخي ما قال هذان الإمامان بعدما أوردنا لك من الفصول

المتقدمة أول الكتاب إلا شفقة عليك من أن تزل بك القدم بالإنكار فتكون مع الهالكين.

وقال رضي الله عنه: «إن الفيوض التي تفيض من ذات النبي صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي، ومنِّي تتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور، وخُصِّصْتُ بعلوم بيني وبينه لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة».

وقال رضي الله عنه: «أنا سيد الأولياء كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء».

وقال رضي الله تعالى عنه: «لا يشرب ولي ولا يُسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور».

وقال رضي الله تعالى عنه: «إذا جمع الله خلقه في الموقف يُنادي مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كان مَددكم منه».

وقال رضي الله تعالى عنه: «إن القطب المكتوم هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء، فكل ولي لله تعالى من كبر شأنه ومن صغر لا يتلقى فيضا من حضرة نبيء إلا بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به، ومدده

الخاص به إنما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم، ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشربا معهم منه صلى الله عليه وسلم».

وقال رضي الله تعالى عنه مشيرا بأصبعيه السبابة والوسطى: «روحه صلى الله عليه وسلم وروحي هكذا، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء عليهم السلام، وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد».

وسبب هذا أن بعض أصحابه تحاور مع بعض الناس في قوله رضي الله تعالى عنه: «كل الشيوخ أخذوا عنى في الغيب»، فحكي له ذلك فأجاب رضي الله عنه بما ذكر.

وقال رضي الله تعالى عنه: «نسبة الأقطاب معه كنسبة العامة مع الأقطاب».

وقال رضي الله تعالى عنه: «الشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى، يعني أهل عصره، وأنا قدماي هاتان -وجمعهما رضي الله تعالى عنه وكان متكئا فجلس- على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور».

قلتُ: قد أخبرني شيخي وسيدي محمد الغالي الشريف الحسني وأنا معه بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

أن الشيخ رضي الله تعالى عنه قال ذات ليلة في مجلسه: أين السيد محمد الغالي؟ فجعل أصحابه ينادون: أين السيد الغالي؟ على عادة الناس مع الكبير إذا نادى أحدا. فلما حضر بين يدي الشيخ، قال رضي الله تعالى عنه: «قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى»، فقال له سيدي محمد الغالي وكان لا يخافه لأنه من أكابر أحبابه وأفرادهم: يا سيدي ، أنت في الصحو والبقاء أو في السكر والفناء؟ فقال رضي الله تعالى عنه: «أنا في الصحو والبقاء وكمال العقل لله الحمد»، وقلت له: ما تقول في قول سيدي عبد القادر رضي الله تعالى عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى؟ فقال: «صدق رضي الله تعالى عنه يعني أهل عصره، وأما

أنا فأقول قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور»، قال: فقلت له: يا سيدي فكيف تقول إذا قال أحد بعدك مثل ما قلت؟ فقال رضي الله تعالى عنه: «لا يقول ذلك أحد بعدي» قال فقلت له: يا سيدي قد حجرت على الله تعالى واسعا، ألم يكن الله سبحانه قادرا على أن يفتح على ولي فيعطيه من الفيوضات والتجليات والمنح والمقامات أكثر مما أعطاك؟ فقال رضي الله تعالى عنه: «بلى قادر على ذلك وأكثر منه ولكن لا يفعله لأنه لم يُرِده، ألم يكن قادرا على أن ينبىء أحدًا ويرسله إلى الخلق ويُعطيه أكثر مما أعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه و سلم؟» قال: فقلت بلى لكنه تعالى لا يفعله

لأنه ما أراده في الأزل، فقال رضي الله تعالى عنه: «وهذا هكذا، ما أراده الله في الأزل ولم يسبق على علمه تعالى».

وقال رضي الله تعالى عنه: «أعطاني الله تعالى السبع المثاني وهي فاتحة الكتاب ما لم يعطه للأنبياء».

وقال رضي الله تعالى عنه: «إن الله أعطاني ما لم يُعطه لأحدٍ من الشيوخ أبدا فضلًا منه وجودًا سبحانه عز وجل بلا استحقاق شيء عليه بل في سابق أزله قضى بذلك، فلله الحمد ومزيد الشكر».

وقال رضي الله تعالى عنه: «أعطاني الله عز وجل الشفاعة في أهل عصري من حين ولادتي إلى حين مماتي». وعن تلميذه الأكبر، وخديمه الأشهر، العارف الأطهر، أبي الحسن سيدي علي حرازم برادة جامع جواهر المعاني: إن الله تعالى أعطى للشيخ الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين مماته وزيادة عشرين سنة بعد وفاته.

قلتُ: قد أخبرني سيدي محمد الغالي أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه توفي عام ثلاثين 1230 من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، أكثر من إحدى عشرة سنة فالكل داخل في هذه الشفاعة الأحمدية التجانية قطعا. هنيئا لهذه الأمة، ولا يحرم من هذا الخير العظيم من

غير عمل ولا كلفة ولا مشقة إلا من حرم بالإنكار والانتقاد.

وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: «كل الطرق تدخل في طريقة الشاذلي إلا طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحَنيفية فإنها مستقلة بنفسها، فلا ينبغي إلا التفرد بها لأنه أعطاها لنا منه إلينا صلى الله عليه وسلم وقال لي: «لا يصلك شيء إلا على يدي» وهو الذي ربَّانا وأوصلنا حتى بلغنا المنى حمدًا وشكرًا لله».

وقال رضي الله تعالى عنه: «كل الطرق تدخل عليها طريقتنا فتُبطلها، وطابَعُنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره».

وقال رضي الله تعالى عنه: «من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرَّفها الله على جميع الطرق أمَّنه الله في الدنيا والآخرة، فلا يخاف من شيء يُصيبه لا من الله تعالى ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخه أيًّا كان من الأحياء أو من الأموات، وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى ولا يعود أبدا».

وقال رضي الله تعالى عنه: «إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة، حتى الإمام المهدي رضي الله تعالى

عنه إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء».

وقال رضي الله تعالى عنه يتحدث لأصحابه بما أنعم الله تعالى عليه وتفضل بعد البسملة والحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يليه إعلامكم بأن فضل الله لا حد له، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وأقولُ لكم إن مقامَنا عند الله في الآخرة لا يصلُهُ أحد من الأولياء ولا يُقاربه من صغر شأنه ومن كبر، وأن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يُقاربه، لِبُعْدِ مَرامِه عن جميع العقول، وصعوبة مَسْلَكِهِ عن أكابر الفحول، ولم أقل ذلك حتى سمعتُه منه صلى

الله عليه وسلم تحقيقًا. وليس لأحدٍ من الرجال أن يُدخل كافَّة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ما عمِلوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا، إلا أنا وَحْدي. ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم، وضمِنه صلى الله عليه وسلم أمر لا يحل لي ذكره، ولا يُرى ولا يُعرف إلا في الآخرة. اهـ.

قلتُ: ومن أهم ما ينبغي ذكره لينتبه له كل موفق للدائرة العظيمة التي أوقع الله فيها هذا الشيخ العظيم وأهل طريقته وحزبه الصحيح، وليتبيَّن لكل ناظر في هذا المحل أنه لا ينكر فضله رضي الله تعالى عنه ويستغربه أو ينكر فضل طريقته وأهلها ويستغربها إلا من غفل عن هذه الدائرة

العظيمة وجهل أنها دائرة طريقته وفيها يسبح أهلها وكان مسجونا في سجن عقله جاهلا بسعة فضل ربه وكونه مختارا، يفضل من يشاء على من يشاء، ويُعطي من يشاء ما يشاء، لا يسأل عما يفعل. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

اعلم أن لله سبحانه وتعالى دائرة تسمى الدائرة الفضلية، وتلك الدائرة مكنوزة من وراء خطوط الدوائر التي هي دوائر الأمر والنهي، والجزاء خيرا وشرا، والاعتبارات، واللوازم، والمقتضيات، فإن هذه الدوائر هي دوائر عموم الخلق، وتلك الدائرة الفضلية دائرة اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى لمن شاء من خلقه.

وهذه الدائرة جعلها سبحانه وتعالى عنده فيضا من بحر الجود والكرم، لا يتوقَّف فيضُها على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع، بل الأمر فيها على اختصاص مشيئته فقط، ولا يُبالي بمن كان وفَّى بالعهود أم لا، انتهج الصراط المستقيم أم سقط من المعاصي في الطريق الوخيم، ولا يُبالي فيها لمن أعطى ولا على ما أعطى، ومَن وقع في هذه الدائرة من خلق الله تعالى كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم، وفيها أوقع الله تعالى هذا الشيخ الأحمدي المحمدي الإبراهيمي، وجعلها سبحانه وتعالى دائرة أهل طريقته، وأوقعهم فيها فضلا منه سبحانه وتعالى وجودًا وكرما، لشدة عنايته بهذا الشيخ العظيم، الذي جمع له بين مقام

المحبة والخلة الناشئتين من هذه الدائرة التي بها اتخذ الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبيبا وخليلا، وسيدنا إبراهيم عليه السلام خليلا، لوراثته إياهما عن هذين النبيئين.

ولذلك كانت طريقته رضي الله تعالى عنه طريقة المحبة والشكر ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». وكانت أسهل الطرق على الإطلاق، وكان أهلها محبوبين مقبولين على أي حالة كانوا ما لم يلبسوا حلة الأمان من مكر الله، ومن بحرها سخر الله جده سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم حتى أحبه صلى

الله عليه وسلم محبة لا تُعرف ولا تُكشف، ومن بحرها جعله الله تعالى القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، والختم المحمدي المعلوم، ومركزا يتفجر منه لجميع الأغواث الفيوض والعلوم، سيبين ذلك في المحشر تصديقا بالنبيء المعصوم، إذا نادى مُنادٍ: يَا أهْلَ المحشر هذا إمامكم الذي كنتم تستمدُّون منه من غير شعور منكم، ومن بحرها تفضل علينا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسم الأعظم وبكيفيات منه، ما تفضل بها على غيره، وبدائرة الإحاطة الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم وبمقامه، وبالكنز المطلسم الذي هو خاص به وبمقامه صلى الله عليه وسلم، وبالياقوتة الفريدة التي هي خاصة به صلى الله عليه وسلم، وبإطلاقه

رضي الله تعالى عنه في إعطاء جميع أوراده من الاسم الأعظم الكبير وما دونه لمن شاء ومنعها عمن شاء، وكذا جميع من قدَّمه رضي الله تعالى عنه، ومن قدَّمه من قدمه، هكذا الأمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكان يقول رضي الله تعالى عنه: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»، وهذا في غير الأوراد اللازمة للطريقة فإنها لا تمنع ممن قبل شروطها.

وفي هذه الدائرة الفضلية قال مولانا جل وعلا: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، وقال: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾، وقال: ﴿وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ إلى: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾، وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ إلى: ﴿يَجْمَعُونَ﴾، وقال: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ إلى: ﴿الْعَظِيمِ﴾، وقال: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ إلى: ﴿الْعَظِيمِ﴾.

وروى البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ

فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ: رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا، قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»، **وفي رواية:** «فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا رَبَّنَا» **الحديث.**

والأحاديث الدالة على هذه الدائرة كثيرة جدا، وإنما نبهنا على هذه الدائرة مع أننا قد أودعنا في الفصول المتقدمة ما ينفر كل عاقل من الإنكار لكون غرضنا في هذا الكتاب سد باب الإنكار على السادات الأخيار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾.

وقال رضي الله تعالى عنه: إن النبيء صلى الله عليه وسلم قد أخبره بقوله عليه الصلاة والسلام: «بعزة ربي يوم الإثنين ويوم الجمعة لم أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعي سبعة أملاك وكل من يراك في اليومين تكتب الملائكة اسمه في ورقة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة».

الفصـل الثـامن في فضـل المتعلقين بـه رضـي الله تعـالى عنـه وأرضـاه وعنـا بـه بـأي وجـه من وجـوه المتعلقات، وما أعدَّ الله تعالى لهم، وفي فضل ورده وما أعدَّ الله تعالى لتاليه.

اعلم يا أخي وفقني الله تعالى وإياك لنيل هذا الخير العظيم والفوز العميم، الذي يوجد من غير عمل منك ولا كسب ولا مشقة، ولا يُحرم منه إلا من حرم نفسه، أنَّ الله بفضله وكرمه تفضَّل على المتعلقين بهذا القطب المكتوم بأمور ضمنها له جده ومحبه وحبيبه سيد الوجود، وعلَم الشهود، سيدنا ومولانا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، وأكثر تلك الأمور لا يحل ذكره ولا إفشاؤه، ولا يُرى ولا يُعرف إلا في الآخرة.

وذكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه منها أمورا جملة كافية يستبشر بها المعتقد على رغم المنتقد، فلذلك أردنا أن نذكر منها هنا ما يسعنا ذكره، ونمسك عما ينبغي كتمه.

فالتي رأينا أن نذكر منها أربعة وثلاثين فضيلة: أربع عشرة منها تحصل لجميع من تعلق به بالتسليم له والاعتقاد، وتعظيمه ومحبته وترك الاعتراض عليه والانتقاد، وبمحبة أهل طريقته واحترامهم وتعظيمهم وعدم إذايتهم؛ والباقية يختص بها أهل طريقته، المتمسكون بأوراده.

فلنبدأ بالقسم الأول فنقول:

-الأولى أن جده صلى الله عليه وسلم ضمن له أن يموتوا على الإيمان والإسلام.

-والثانية أن يخفف الله تعالى عنهم سكرات الموت.

-والثالثة أن لا يروا في قبورهم إلا ما يسرهم.

-والرابعة أن يؤمنهم الله تعالى من جميع عذابه وعقابه، وتهويله وتخويفه ورعبه، وجميع الشرور، من الموت إلى المستقر في الجنة.

-والخامسة أن يغفر الله تعالى جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر.

-والسادسة أن يؤدي الله تعالى جميع تَبِعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله عز وجل لا من حسناتهم.

-والسابعة أن لا يحاسبهم الله تعالى، ولا يناقشهم، ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة.

-والثامنة أن يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم القيامة.

-والتاسعة أن يُجيزهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة.

-والعاشرة أن يسقيهم الله تعالى من حوضه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

-والحادية عشر أن يدخلهم الله تعالى الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى.

-والثانية عشر أن يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس ومن جنة عدن.

وسبب ضمانه صلى الله عليه وسلم لهم كل ما ذكر أنه رضي الله تعالى عنه لما رأى ما صدر له من جده صلى الله عليه وسلم من المحبة، وصرَّح له بها، تذكَّر أصحابه ومن وصله إحسانهم وأهل طريقته، وكتب كتابا وطلب فيه لنفسه ولهم ولغيرهم ممَّن لم أذكرهم جميع هذه المطالب، وجعله في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما نظر صلى الله عليه وسلم إلى المكتوب، أجابه بأنه صلى الله عليه وسلم ضمن له جميع ما طلبه. وقد طلب جميع هذه المطالب أيضا

منه صلى الله عليه وسلم بغير كتاب مشافهة، وضمن له صلى الله عليه وسلم جميع ما طلب.

وزبدة السؤال:

«أسأل من فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمن لي ولجميع هؤلاء أن نموت أنا وكل حي منهم على الإيمان والإسلام، وأن يؤمننا الله وجميعهم من جميع عذابه وعقابه وتهويله وتخويفه ورعبه وجميع الشرور»، إلى آخر ما ذكر رضي الله تعالى عنه. وقد ذكر أمورا تحير فيها العقول، وتعجز عنها الأفكار والنقول، فمن أرادها فليتبعها في جواهر المعاني تأليف سيدي الحاج علي حرازم رضي الله تعالى عنه.

-والثالثة عشر أن النبيء صلى الله عليه وسلم يحبُّ كل من أحبه رضي الله تعالى عنه.

-والرابعة عشر أنه لا يموت حتى يكون وليا. قال رضي الله تعالى عنه: «أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنه لا يموت حتى يكون وليا قطعا»، وقال رضي الله تعالى عنه: «قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين، أنت حبيبي ومن أحبك حبيبي، وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار»، وقال رضي الله تعالى عنه: «أبشروا إن كل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله»، وقال رضي الله تعالى عنه: «وأما من كان

محبا ولم يأخذ الورد فلا يخرج من الدنيا حتى يكون وليا».

فلنجعل هذا آخر القسم الأول، ونشرع فيما اختص به أهل طريقته المتمسكون بأوراده:

-والخامسة عشر أن أبوي آخذ ورده وأزواجه وذريته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، مع أن أحدا منهم لم يكن له تعلق به بوجه من وجوه التعلقات، وإنما نالوا هذا الفضل العظيم بسبب هذا الآخذ.

قال رضي الله تعالى عنه: «ومن أخذ عني الورد المعلوم» إلى آخره كما في جواهر المعاني، فمن أراد فليطالعه فإنه ذكر فيه خيرا يجب كتمه.

-والسادسة عشر أنهم تلاميذ للنبيء صلى الله عليه وسلم.

-والسابعة عشر أن النبيء صلى الله عليه وسلم سماهم أصحابه، قال رضي الله تعالى عنه: «قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: أنت من الآمنين» إلخ، انظر جواهر المعاني.

-والثامنة عشر أن كل ما يؤذيهم فإنه يؤذي النبيء صلى الله عليه وسلم، وذلك أن محاورة وقعت بين رجلين من أصحابه فأمره أن يصلح بينهما بالفور، ثم أخبر رضي الله تعالى عنه أنه وقع له الأمر بالاصلاح بينهما من النبيء صلى الله عليه وسلم، وأخبره عليه الصلاة والسلام بأنه يؤذيه صلى الله

عليه وسلم ما يؤذي أصحابه رضي الله تعالى عنا وعنه.

-والتاسعة عشر أن الإمام المهدي المنتظر، إلخ، انظر الإفادة الأحمدية.

-والموفية عشرون أن أهل طريقته كلهم أعلى مرتبة من أكابر الأقطاب، قال رضي الله تعالى عنه: «لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار لا يلحقون مراتب أصحابي»، وقال رضي الله تعالى عنه: «لو اطلع أكابر الأقطاب» إلخ، انظر منية المريد، وقال رضي الله تعالى عنه: «وليس لأحد من الرجال أن يدخل أصحابه الجنة» إلخ، انظر جواهر المعاني.

-والحادية والعشرون أنهم ينالون من ثواب الأذكار العالية من الاسم الأعظم الكبير

وما دونه ما لا يناله منها أكابر العارفين والأقطاب، قال رضي الله تعالى عنه بعد ذكر ثواب الأقطاب الذين كانوا قبله من ذكر الاسم الأعظم وثواب أهل طريقته من ذكرهم الاسم الأعظم ومن ذكرهم الكنز المطلسم: «ولعلك ترى أن ما في مراتب القطب من قبلنا يقل دونه ثواب واحد من أصحابنا في الاسم الأعظم وذلك من قلة التأمل، وإذا تأملت ثواب القطب من قبل هذا الوقت مع ثواب مرة واحدة من أصحابنا بان لك أن ثواب القطب من قبلنا بالنسبة إلى ثواب مرة واحدة من ذكر واحد من أصحابنا كبصقة في البحر المحيط». ولمَّا قيل له رضي الله تعالى عنه: بم نالوا ذلك؟ قال: «من أجلي».

-والثانية والعشرون أن الله تعالى يُعطيهم من عمل كل عامل إلخ، انظر منية المريد في فضل ما أعدَّ الله تعالى لأصحابه رضي الله تعالى عنه.

-والثالثة والعشرون أن من آحادهم من إذا رآه شخص يوم الإثنين أو يوم الجمعة فإن الرائي يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب وراثة أحمدية تجانية.

-والرابعة والعشرون أن منهم من إذا رآه شخص وقال له الرائي: اشهد أني رأيتك، وقال له المرئي: شهدت لك أنك رأيتني، فإن الرائي يدخل الجنة.

-والخامسة والعشرون أن لهم في المحشر موضعا في ظل العرش يكونون فيه وحدهم، قال رضي الله تعالى عنه: «إن

أصحابنا لا يدخلون حفرة المحشر مع الناس، ولا يذوقون مشقة، ولا يرون محنة، من تغميض أعينهم إلى الاستقرار في عليين»، وقال رضي الله تعالى عنه: «إن أصحابنا يوم القيامة ليسوا في الموقف بل هم مكتنفون في ظل العرش في موضع وحدهم، ولا يُقدَّم عليهم أحد في دخول الجنة إلا الصحابة رضي الله تعالى عنهم».

-والسادسة والعشرون أنهم في أعلى عليين، وأما أحبابه الذين ليسوا من أهل طريقته وأوراده فغاية أمرهم كونهم في عليين، قال رضي الله تعالى عنه: «أصحابي في جواره صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين مع أولي العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

-والسابعة والعشرون أن لهم برزخا وحدهم وبعض الرسل، وأخبرنا أيضا قدس الله تعالى روحه أن لهم برزخا يستقلون به، وهذا كله من كثرة الاعتناء بهم لما خصهم الله تعالى به من محبته ومعرفته.

-والثامنة والعشرون أنهم لا يحضرون أهوال الموقف، قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: إن أصحابي لا يحضرون أهوال الموقف ولا يرون صواعقه وزلازله، بل يكونون مع الآمنين عند باب الجنة حتى يدخلون مع المصطفى صلى الله عليه وسلم في الزمرة الأولى مع أصحابه، ويكون مستقرهم في جواره صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين مجاورين لأصحابه صلى الله

عليه وسلم، فسبحان المتفضل بما شاء على من يشاء اختيارا منه لا تحكم عليه في شيء.

-والتاسعة والعشرون أن أكثرهم يحصل له في كل يوم فضل زيارته صلى الله عليه وسلم في روضته الشريفة وزيارة جميع أولياء الله والصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك، قال رضي الله تعالى عنه: «أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة تسمى جوهرة الكمال، كل من ذكرها اثنتي عشرة مرة وقال: هذه هدية مني إليك يا رسول الله، فكأنما زاره في روضته الشريفة، وكأنما زار أولياء الله والصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك».

-والموفية ثلاثون أن النبيء صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يحضرون مع

أهل هذه الطريقة في كل يوم، قال رضي الله تعالى عنه: "إن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: من قرأها سبعا فأكثر يحضره النبيء صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها».

قلتُ: قد منَّ الله تعالى على إخواننا في الطريقة بأنها تذكر في الوظيفة اثنتي عشرة مرة، فإنها تكفي أهل الكسل.

-والحادية والثلاثون أن النبيء صلى الله عليه وسلم يحبهم محبة خاصة، غير التي تقدمت لهم ولجميع الأحباب في القسم الأول، قال رضي الله تعالى عنه: «إن النبيء صلى الله عليه وسلم قال إن من لازمها في كل يوم أزيد من سبع مرات فإنه صلى الله عليه وسلم يحبه محبة خاصة ولا يموت حتى يكون وليا».

قلتُ: وهذا الفضل أيضا حاصل لأهل الكسل لاشتمالهم الوظيفة عليه إلا إذا كانوا لا يقرؤونها في الوظيفة.

-والثانية والثلاثون أن لهم علامة يتميزون بها عن غيرهم ويعرفون بها أنهم تلاميذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقراؤه، وهي ما من أحد منهم إلا وبين عينيه مكتوب بطابع النبيء صلى الله عليه وسلم: "محمد رسول الله"، وعلى قلبه مما يلي ظهره: "محمد بن عبد الله"، وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه: "الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية".

-والثالثة والثلاثون أن لهم من الله تعالى لطفا خاصا بهم. أخبرني سيدي محمد الغالي الشريف الحسني، الذي قال له جده سيد

الوجود صلى الله عليه وسلم: «من نظر إليك غفر الله له»، أن الشيخ رضي الله تعالى عنه قال: «إن لأهل هذه الطريقة من الله تعالى لطفا خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم»، ولذا قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه: «إن صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها».

-والرابعة والثلاثون أن كل من لم يحترمهم وكان يؤذيهم طرده الله تعالى عن قربه وسلبه ما منحه، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم يغار لأهل هذه الطريقة غيرة خاصة كما كان صلى الله عليه وسلم يغار لأصحابه، لأن أهلها فقراؤه وتلاميذه كما أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك، ولذا قال صلى الله عليه وسلم له رضي الله

تعالى عنه: «إذا مر أصحابك بأصحابي فليزوروهم فقط، وأما غيرهم من الأولياء فلا»، وذلك كله لشدة اعتنائهم بأهلها لأجل حبيبه وولده الذي قال له: «أنت ولدي حقا» قال له: «أنت حبيبي ومن أحبك حبيبي»، وقال لبعض أصحابه رضي الله تعالى عنه: «أنت ابن الحبيب ودخلت في طريقة الحبيب»، وقال صلى الله عليه وسلم لمن أرسله إليه رضي الله تعالى عنه يقظة لا مناما: «قل لحبيبي التجاني».

ولشدة محبته صلى الله عليه وسلم فيه رضي الله تعالى عنه أخبره أن كل من أحبه لا يموت حتى يكون وليا، وضمن له أن من سبه وداوم على ذلك لا يموت إلا كافرا.

وهذه المحبة منه صلى الله عليه وسلم لشيخنا رضي الله تعالى عنه هي التي سرت

منه صلى الله عليه وسلم إلى أهل طريقته، حتى قال صلى الله عليه وسلم له رضي الله عنه: «قل لأصحابك لا يؤذوني بإذاية بعضهم بعضا». وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم أمر الشيخ أن يصلح بين اثنين من أصحابه، وكان قد وقعت خصومة بينهما، وأخبره أنه يؤذيه ما يؤذي أصحابه رضي الله تعالى عنه، وذلك لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم لئلا يصيبهم ضرر من إذاية بعضهم بعضا، لأن من آذى واحدا منهم فقد آذاه صلى الله عليه وسلم، كما قال صلى الله عليه وسلم في حق أصحابه رضي الله تعالى عنه: «لا تؤذوني في أصحابي» أو كما قال، ولهذا قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به: «إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت في العلو عند

الله تعالى إلى حد يحرم ذكره، ليس هي ما أفشيته لكم، ولو صرحت بها لأجمع أهل الحق والعرفان على كفري فضلا عمَّن عداهم، وليست هي التي ذكرت لكم بل من ورائها. ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يحتفظ على تغيير قلبي من أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله عن قربه وسلبه ما منحه»، نعوذ بالله تعالى من الطرد والسلب بعد العطاء.

قلتُ: وقد منَّ الله تعالى عليَّ بفضله وكرمه بمعرفة أمور عظام، وأسرار جسام، وخيرات ضخام، في هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية، على يد بعض الرجال، ومنَّ عليَّ أيضًا وأطلعني على أمور وأسرار وأنوار منها ببركة صاحبها

رضي الله تعالى عنه وجده صلى الله عليه وسلم، ولا يسعني في هذا الوقت ذكر شيء منها.

وهذا آخر ما أردنا ذكره في القسم الثاني. انتهى.

الفصل التاسع في بيان سبب تسمية هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية.

فنقول وبالله تعالى التوفيق:

اعلم أن كونها أحمدية لا يتبين إلا إذا بيَّنَّا الحقيقة الأحمدية ليتبيَّن للناظر وجه تسميتها أحمدية، فنقول:

إن شيخنا رضي الله تعالى عنه قال: وأما الحقيقة الأحمدية فهي الأمر الذي سبق به صلى الله عليه وسلم في حمد الله تعالى كل حامد من الوجود ، فما حمد الله تعالى أحد في الوجود مثل ما حمده النبيء صلى الله عليه وسلم. ثم إن الحقيقة الأحمدية غيبٌ من أعظم غيوب الله تعالى، فلم يطلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والمنح والمواهب والأحوال العلية والأخلاق الزكية، فما ذاق منها أحد شيئا ولا جميع الرسل والنبيئين،

إختص صلى الله عليه وسلم وحده بمقامها، وكل مدارك النبيئين والمرسلين وجميع الملائكة المقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء العارفين كل ما أدركوه على جمله وتفصيله إنما هو من فيض حقيقته المحمدية، وأما حقيقته الأحمدية فلا مطمع لأحد بنيل ما فيها.

فالحاصل أن له صلى الله عليه وسلم مقامين: مقام حقيقته الأحمدية وهي الأعلى؛ ومقام حقيقته المحمدية وهو الأدنى، ولا أدنى فيه. وكل ما أدركهُ جميع الموجودات من العلوم والمعارف والفيوضات والتجليات والترقيات إنما هو من حقيقته المحمدية، وأما في حقيقته الأحمدية فما نال منها أحد شيئا،

اختص به صلى الله عليه وسلم وحده لكمال عزها وغاية علوها.

وإذا فهمت هذا فاعلم أنها سميت أحمدية لوجوه:

أحدها: أنها سميت أحمدية لكون الذي من تفضل بها عليه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه نسبت إليه لذلك.

والثانية: أنها سميت أحمدية للإشارة إلى أنه رضي الله تعالى عنه هو أول الأولياء وخاتمهم وراثة أحمدية، إذ قد تقدم أن الحاتمي رضي الله تعالى عنه قال إن معنى حديث «كُنْتُ نَبِيئًا وَآدَمُ بَيْنِ الْمَاءِ وَالطِّينِ» كنت نبيئا

بالفعل عالما بنبوءتي وآدم بين الماء والطين. ثم قال: وغيره من الأنبياء ما كان نبيئا بالفعل ولا عالما بنبوءته إلا حين بعث. ثم قال: وكذلك خاتم الأولياء كان وليًّا بالفعل عالما بولايته وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلا بعد تحصيله ما يشترط في الاتصاف بالولاية عليها من كون الله تعالى تَسمَّى بالولي الحميد.

وإذا تقرر هذا فإن خاتم الأولياء قد سبق في حمد الله تعالى كل حامد من الأولياء، فما حمد الله تعالى أحدٌ من الأولياء مثل ما حمده خاتم الأولياء، وإذا كانت طريقته طريقة المحبة والشكر لأنها ناشئة عن

الدائرة الفضلية التي رفع الله تعالى بها عنه منة غير جده صلى الله عليه وسلم القائل له: «لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق، فأنا واسطتك وممدك على التحقيق، فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق»، وقال له: «الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال من الناس حتى تصل مقامك الذي وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة، واترك عنك جميع الأولياء».

فلكونها طريقة سهلة يصل إلى الله تعالى جميع أهلها بمحض الفضل والكرم والجود من غير أن يحوجهم ربهم الكريم إلى خلوة ولا اعتزال عن الناس، وهم على ما هم عليه من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة، كان أهلها مطالبين بالحمد على ما خصَّهم الله تعالى به من الفضل العظيم

والشكر على ما عمهم به من الخير الجسيم، فلهذا سميت أحمدية، وبالله تعالى التوفيق.

والثالثة: أن مقام صاحبها بالنسبة إلى باقي مقامات الأولياء كنسبة مقام الأحمدية إلى باقي المقامات، إذ هو رضي الله تعالى عنه برزخ البرازخ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سائر الأولياء.

قال رضي الله تعالى عنه، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى: «روحه صلى الله عليه وسلم وروحي هكذا، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد»، وقال رضي الله تعالى عنه: «نسبة الأقطاب معه كنسبة

العامة مع الأقطاب». وإن مراتب أهلها بالنسبة إلى مراتب غيرهم من أهل سائر الطرق كذلك حتى إن ذلك انتهى إلى حد لا يحل ذكره، قال رضي الله تعالى عنه: «لو اطلع أكابر الأقطاب على ما اعد الله تعالى لأهل هذه الطريق لبكوا وقالوا: يا ربنا ما أعطيتنا شيئا».

وإلى ما ذكرنا أشار رضي الله تعالى عنه بقوله: «إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت في العلو عند الله إلى حد يحرم ذكره، ليس هي ما أفشيته لكم، ولو صرحت بها لأجمع أهل الحق والعرفان على كفري فضلا عمَّن عداهم، وليست هي التي ذكرت لكم» كما تقدم، وبقوله لأصحابه: «يليه إعلامكم أن فضل الله لا حد له وأن الفضل بيد الله يؤتيه

من يشاء، وأقول لكم إن مقامنا عند الله تعالى في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه من صغر شأنه ومن كبر، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا من يقاربه، لبُعد مَرامه عن جميع العقول، وصعوبة مسلكه عن أكابر الفحول، ولم أقل ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقًا. وليس لأحد من الرجال أن يُدخل كافَّة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب، ولو عملوا من الذنوب ما عمِلوا، وبلَغوا من المعاصي ما بلغوا، إلَّا أنا وَحْدي. ووراء ذلك ممَّا ذكر لي فيهم، وضمنه صلى الله عليه وسلم أمر لا يحل لي ذكره، ولا يُرى ولا يُعرف إلا في الآخرة».

ولنذكر بعض ألفاظ من بعض أوراد هذه الطريقة، إشارة إلى أنها بلغت الغاية القصوى في الفضيلة، وأنها أحمدية على التحقيق، فنقول:

الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ نَاصِرِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ؛ وَمِقْدَارِهِ العَظِيمِ؛ الْمَالِئَةِ لِكُلِّ مُتَعَرِّضٍ مِنَ البُحُورِ وَالأَوَانِي، يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ، وَيَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ وَيَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، وَيَا عَظِيمَ الْمَنِّ، وَيَا مُبْتَدِئًا بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا؛ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، سَلَامٌ هِيَ؛ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ؛ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، آمِين؛ حَتَّى يَكُونَ لَكَ مِنِّي وَحْدِي فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ وَأَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ مِثْلُ حَمْدِ جَمِيعِ الْحَامِدِينَ، وَتَوْحِيدِ أَصْنَافِ الْمُوَحِّدِينَ وَالْمُخْلِصِينَ، وَتَقْدِيسِ (أَجْنَاسِ) الْعَارِفِينَ، وَثَنَاءِ جَمِيعِ الْمُهَلِّلِينَ وَالْمُصَلِّينَ وَالْمُسَبِّحِينَ، وَمِثْلُ مَا أَنْتَ بِهِ عَالِمٌ، وَأَنْتَ مَحْمُودٌ وَمَحْبُوبٌ وَمَحْجُوبٌ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْبَرَايَا وَالْأَنَامِ.

وفي هذا المحل في هذه الطريقة أسرار عالية لا تذكر.

وأما سبب تسميتها محمدية مع أن طرق أهل الله تعالى كلها كذلك، فلوجوه:

إحداها: أنها طريقته صلى الله عليه وسلم بالوجه الخاص.

وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم صرَّح بذلك لشيخنا رضي الله تعالى عنه بقوله صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما: «فقراؤك فقرائي وتلاميذُك تلاميذي»، وقوله صلى الله عليه وسلم له رضي الله تعالى عنه: «كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنه أخذ عنك مشافهة وأنا ضامن لهم»، وقوله صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب بعض أهل طريقة الشيخ رضي الله تعالى عنه: «أنت ابن الحبيب ودخلت في طريقة الحبيب، فلا واسطة بيني وبينك إلا هذا الواسطة، فهو مني وأنا منه، وكل

من دخل في طريقتي وتحت كنفي وحمايتي فله جميع ما ذكره الخليفة الأكبر والوارث الأشهر التجاني الأطهر».

وثانيها: أن لأهلها علامة يتميزون بها عن غيرهم، ويُعرف بها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحب هذه الطريقة بوجه خاص، وهي ما من أحد من أهلها إلا وبين عينيه مكتوب بطابع النبيء صلى الله عليه وسلم «محمد رسول الله»، وعلى قلبه مما يلي ظهره «محمد بن عبد الله»، وعلى رأسه تاج من نور مكتوب فيه «الطريقة التجانية منشؤها الحقيقة المحمدية».

وثالثها: أن الله تعالى لما ختم بمقامه مقامات الأولياء ولا مقام فوق مقامه إلا

مقام النبوءة، وجعله الختم المحمدي المعلوم كما تقدم، كانت طريقته الطريقة المحمدية بالوجه الخاص.

ورابعها: أنه رضي الله تعالى عنه حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها كما تقدم، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز كل ما عند الأنبياء من الكمالات الإلهية، وهذا السر العظيم من هذا السيد العظيم هو الذي سرى في طريقته وفي أهلها فسميت محمدية لهذه المناسبة التامة.

وخامسها: أن طريقته رضي الله تعالى عنه هي آخر الطرق فلا يأتي ولي بعده

بطريقة جديدة، كما أن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي آخر الملل. قال رضي الله تعالى عنه: «كل الطرق تدخل في طريقة الشاذلي رضي الله تعالى عنه إلا طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحنيفية فإنها مستقلة بنفسها فلا ينبغي لها إلا التفرد بها لأنه أعطاها لنا منه إلينا صلى الله عليه وسلم، وقال لي: لا يصل لك شيء إلا على يدي وهو الذي ربانا وأوصلنا حتى بلغنا المنى حمدا وشكرا لله تعالى».

وسادسها: أن طريقته رضي الله تعالى عنه تدخل على جميع الطرق فتبطلها، وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره كما تقدم، كما أن شرع رسول

الله صلى الله عليه وسلم يدخل على جميع الشرائع ولا يدخل على شريعته غيره.

وسابعها: أن من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في هذه الطريقة المحمدية أمنَّه الله تعالى في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الأموات، وأما من دخلها وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى كما تقدم، كما أن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك.

وثامنها: أن الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه إذا قام آخر الزمان يأخذ طريقته ويدخل زمرته كما تقدم، فتصير الطرق طريقة واحدة (سيعاين) ذلك من حضر ظهوره إن شاء الله كما أن الشرائع صارت شريعة واحدة وهي الإسلام.

وتاسعها: أنه صلى الله عليه وسلم يغار لأهل هذه الطريقة غيرة خاصة كما كان صلى الله عليه وسلم يغار لأصحابه، لأن أهلها فقراؤه وتلاميذه كما كان الصحابة رضوان الله عليهم كذلك، وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الشيخ رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم يؤذيه ما يؤذي أهل هذه الطريقة، وتقدم أيضا أن الشيخ

رضي الله تعالى عنه قال: «إن لنا مرتبة» إلخ كما تقدم، وهذا كله لسر كون طريقة شيخهم محمدية بالوجه الخاص.

وعاشرها: أنه صلى الله عليه وسلم تفضل على هذا الشيخ الخاتم المحمدي بطريقة لكونها محمدية بالوجه الخاص ليكون تضعيف ثواب حسنات أهلها بالنسبة إلى تضعيف ثواب حسنات غيرهم من أهل سائر الطرق كنسبة تضعيف ثواب حسنات هذه الأمة إلى تضعيف ثواب حسنات غيرها من سائر الأمم بلغ وراثة محمدية حبيبية، ولذا كان من أذكارها ما يكون المرة منه تستغرق عبادة جميع العارفين، ومنها ما يكون المرة منه تعدل عبادة جميع العالم ثلاث مرات،

ومنها ما يكون كل العبادات إذا اجتمعت بالنسبة إلى مرة منه كنقطة في بحر، ولولا أن في القلب ما فيه لأودعنا هنا ما يبهر العقول، ويعجز عن إدراك حقيقته أكابر الفحول، ولا ينكر هذا إلا من ينكر وجود الأذكار الجامعة، ومن أنكر وجودها سقط البحث معه لأنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما سبب تسميتها إبراهيمية حنيفية، فلوجوه أيضا:

أحدها: أنها لا تكون محمدية بالوجه الخاص كما تقدم بيان ذلك إلا وكانت إبراهيمية حنيفية بالضرورة ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

ثانيها: أنها طريقة سهلة ناشئة عن الدائرة الفضلية التي (منها) اتخذ الله إبراهيم (خليلا) في الأزل قبل إيجاده وإيجاد الكون وما فيه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ﴾. ولكونها أسهل الطرق وسميت إبراهيمية حنيفية ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾. ولذا كانت طريقة العشق والمحبة والخلة والشكر ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أتفعل هذا وقد غفر الله تعالى لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

وثالثها: أن جميع أهل الملل متفقون على صحة ملة إبراهيم عليه السلام، وما من ملة إلا ويثني عليه أهلها، وللشيخ رضي الله تعالى عنه هذا المقام لأن جميع الكمل من أهل الله تعالى يعلمون أن لله وليا يختم بمقامه مقامات الأولياء ولم يكن فوقه إلا مقام النبوءة، وتمنى كل واحد منهم أن يكون هو ذلك الولي حتى ظن بعض الكمل أنه هو لما لاح بوارق ذلك المقام وظن أنه بلغ بذلك المرام، ثم تبين له أنه ما بلغه على التمام، وسلم الأمر كله إلى مكون الأنام مع علمه أن الله تعالى سيظهره بعد اكتتام.

وأما شيخنا التجاني رضي الله تعالى عنه فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم

يقظة لا مناما بأنه هو ذلك الولي المكتوم مشافهة، فلهذه المناسبة سميت إبراهيمية.

ورابعها: أن الله تعالى قال في حق إبراهيم عليه السلام: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا)، وقال صلى الله عليه وسلم في حق هذا الشيخ وفي حق طريقته وأهلها: «أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين، وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار ووالداه وأزواجه وذرياته»، وقال رضي الله تعالى عنه: «من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرَّفها الله تعالى على جميع الطرق أمنَّه الله تعالى في الدنيا والآخرة، فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله تعالى ولا من رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الأموات».

وخامسها: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أخلص وجهته إلى مولاه وحده وتبرأ من أن يتقرب إليه شيء سواه، حتى إنه أدرج في المنجنيق ليرمى به في النار بعدما أعرض عن ملك الرياح وعن ملك الأمطار فتعرض له جبريل عليهما السلام وقال له: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا) (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) أي من تبعني في طريق المجاهدة والمحبة والخلة بالموافقة في بذل الروح بين يدي فاطر السموات والأرض فإنه مني، أي طينته من طينتي وقلبه من قلبي وروحه من

روحي وسره من سري ومشربه في المحبة والمعرفة والخلة مشاربي، وهذه الطريقة الجليلة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية وهي طريقة شيخنا رضي الله تعالى عنه، والواجب في حق السالك أن يمسي ويصبح ويظل ويبيت وليس له مراد إلا شيئين: الأول: هو الله عز وجل اختيارا من جميع الموجودات، واستغناء به عنها، وأنفة من لحظها، وغيرة أن يختار سواه. وليكن الله عز وجل هو مبدأ مراده ومنتهاه، وأول مراده وآخره، ومفتتحه وخاتمه، ومستغرقا لقصر مراده عليه فيما بين ذلك كله، حتى لا تبقى لمحة يريد فيها غيره، لأن إرادة الغير إما طمع أو عبث. والثاني من مرادات السالك: أن يكون كله لله عز وجل خالصا من رقية غيره، كامل

التعلق به سرا وروحا وعقلا ونفسا وقلبا وقالبا، حتى لا تكون منه ذره متخلفة عن الله تعالى، ويكون واقفا مع مراده عز وجل، منسلخا عن جميع الإرادات والاختيارات والتدبيرات والحظوظ والشهوات والأغراض، واقفًا في ذلك كله لله بالله مع الله، لا شيء منه لنفسه ولا بنفسه ولا مع نفسه، وليكن ذلك عبودية لله عز وجل من أجله، وإرادة لوجهه وأداء لحق ربوبيته، لا ليعود عليه منه شيء، ولا يختر على الله عز وجل أن يكمل له مراده بل لتخلص ربوبية ربه عز وجل، لا قنوطا من خيره لئلا يكفر، ويحسن ظنه به لما هو عليه من كمال الصفات المحمودة.

وسادسها: أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يسكن عياله بوادي الحرم بلا زاد ولا راحلة، ليصفى حال توكله واعتماده على الله تعالى، وليبلغ إلى كمال الخلة، فنادى ربه وإلهه ودعاه باسم الرب طمعا في تربية عياله وأهله وإيوائهم إلى جوار الكرامة بقوله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)، والبيت المحرم ما يمنع قاصديه عن كل مستأنس غير الله، وفيه إشارة إلى تربية أهله بحقائق التوكل والرضا والتسليم، ونعمة التربية هذه، فأعلمنا بسنته القائمة الحنيفية السهلة السمحة الخليلية الحبية الحبيبية الأحمدية المحمدية المصطفوية، صلوات الله تعالى عليهما أن العارف الصادق ينبغي له أن لا يكون معوله على الأملاك

والأسباب في حياته وبعد وفاته لتربية عياله، فإنه تعالى حسبه، كما أن شيخنا رضي الله تعالى عنه أسكن أولاده الذين هم أهل طريقته عند بيت الله المحرم الذي لا يضيع من أسكن عنده أبدا، وهو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، لأنه صلى الله عليه وسلم أستاذ أهل هذه الطريقة ومربيهم والضامن لهم ومتولي أمورهم على الإطلاق.

وهذا من جملة الأسرار التي منعهم الشيخ لأجلها من التطفل لأحد من أشياخ الطريق لأن جده وحبيبه ومحبه صلى الله عليه وسلم أعطاه هذه الطريقة المستقلة بنفسها وقال له: «لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق، فأنا واسطتك وممدك على التحقيق، فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق، واترك عنك جميع

الأولياء»، وأمره هو رضي الله تعالى عنه وجميع أهل طريقته بترك زيارة الأولياء، وكل من زار منهم ينسلخ عن حضرته وأبدل لهم ما يحصل لكل واحد بفعله

فضل زيارته صلى الله عليه وسلم

في روضته المشرفة، وزيارة جميع الأولياء والصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك.

وسابعها: أن ذلك إشارة إلى أن الله تعالى يُعامل أهلها معاملة الخليل بخليله، كما أنه يعاملهم معاملة الحبيب بحبيبه، وقد تقدم أن لأهلها لطفا خاصا بهم بعد لطفه العام لهم ولغيرهم.

وثامنها: أن الله تعالى جعل في ذرية إبراهيم عليه السلام من الأنبياء والرسل أصحاب الشرائع وغيرهم ما يطول عده (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)، كما جعل في هذه الطريقة من الأولياء الصغار والكمل أصحاب الطرق وغيرهم من الإنس والجن ما يطول عدُّهُ.

وقد ذكر رضي الله تعالى عنه أن أصحاب الطرق من كمل أهل طريقته سيبلغون ستمائة من الإنس وثلاثمائة من الجن، (أو) قريب من هذا والذهن خوان. ثم قال رضي الله تعالى عنه أنها كلها منه وإليه، رضي الله تعالى عنه وأفاض علينا من بركاته دنيا وأخرى.

الفصل العاشر في الجواب عنه رضي الله تعالى عنه في مسائل متفرقة أخذها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما من واحدة منها إلَّا وفيها من الفضائل والأسرار ما لا يحيط به إلا مولاه الكريم الوهاب المتفضل بنا عليه، قد يعترض عليه فيها بعض من لا قدم له في العلم.

ومرادنا في ذلك تنبيهه على أنها كلها منصوصة عليها في مذهب مالك وغيره من المذاهب، وإن كان أصحاب الفتح الأكبر لا يتقيدون بمذهب معين، بل يدورون مع الحق عند الله أينما دار كما تقدم.

منها: إهداء الثواب للنبيء صلى الله عليه وسلم.

اعلم أن في هذه المسألة سؤالين:

-أحدهما: هل ينتفع النبيء صلى الله عليه وسلم بصلاتنا عليه أو بما نهديه إليه صلى الله عليه وسلم من ثواب صلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم وغيرها، أو لا ينتفع بشيء من ذلك، وإنما النفع عائد علينا؟.

-والثاني: هل إهداء الثواب إليه صلى الله عليه وسلم جائز في الشرع، أم لا؟.

أما الأول: فالجواب والله الموفق للصواب أن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينتفع بشيء من ذلك وإنما النفع عائد علينا.

وأما الثاني: فالجواب عنه أنه جائز وفيه خير عظيم وفضل جسيم.

قال في الإبريز سائلا شيخه القطب عبد العزيز الدباغ: فهل ينتفع النبي صلى الله عليه وسلم بصلاتنا عليه أو لا ينتفع؟، فإن هذه مسألة قد اختلف فيها العلماء رضي الله تعالى عنهم.

فقال رضي الله تعالى عنه: لم يشرعها الله لنا بقصد نفع نبيه صلى الله عليه وسلم، وإنما شرعها الله لنا بقصد نفعنا خاصة، كمن

له عبيد فنظر إلى أرض كريمة لا تبلغها أرض في الزراعة، فدعا عبيده فأعطاهم تلك الأرض على أن يكون الزرع كله لهم يستبدون به، ولم يعطهم ذلك على وجه الشركة، فهكذا حال صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم فأجرها كله لنا، وإذا اشتعل نور أجرها في بعض الأحيان واتصل بنوره صلى الله عليه وسلم نراه بمنزلة شيء راجع إلى أصله لا غير، لأن الأجور الثابتة للمؤمنين قاطبة إنما هي لأجل الإيمان الذي فيهم، والإيمان الذي فيهم إنما هو من نوره صلى الله عليه وسلم، فصارت الأجور الثابتة لنا إنما هي منه صلى الله عليه وسلم، ولا مثال له في المحسوسات إلا البحر المحيط مع الأمطار إذا جاءت بالسيول إلى البحر، فإن

ماء الأمطار من البحر فإذا رجع إلى البحر فلا يقال إنه زاد في البحر.

إلى أن قال: وترى الرجل يقرأ دلائل الخيرات، فإذا أراد الله تعالى أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم صوَّره في فكره وصوَّر الأمور المطلوبة له كالوسيلة له والدرجة الرفيعة والمقام المحمود وغير ذلك مما هو مذكور في كل صلاة، وصوَّر نفسه طالبا لها من الله تعالى، وقدَّر في فكره أن الله تعالى يجيبه ويعطي ذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم على يد هذا الطالب، فيقع في ظن الطالب أنه حصل منه للنبيء صلى الله عليه وسلم نفع عظيم، فيفرح ويستبشر، ويزيد في القراءة، ويبالغ في الصلاة، ويرفع بها صوته، ويحس بها خارجة من عروق قلبه،

ويعتريه خشوع، وتنزل عليه رقة عظيمة، ويظن أنه في حالة ما فوقها حالة، وهو في هذا الظن على خطأ عظيم، فلا يصل بصلاته هذه إلى شيء من الله تعالى لأنها متعلقة بما ظنه وصوَّره في فكره، وظنه باطل، والباطل لا يتعلق بالحق سبحانه، وإنما يتصل بالحق سبحانه ما هو حقٌّ في نفس الأمر، فكل ما كان كذلك فهو متعلق بالحق سبحانه. فليحذر المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الآفة العظيمة، فإن أكثر الناس لا يتفطنون لها ويظنون أن تلك الرقة والحلاوة الحاصلة لهم من الله سبحانه وتعالى، وإنما هي من الشيطان ليدفعهم بها عن الحق سبحانه، ويزيدهم بها بعدا. وإنما ينبغي أن يكون الحامل محبته صلى الله عليه

وسلم وتعظيمه لا غير، وحينئذ يشتعل نورها. وأما إن كان الحامل عليها نفع (العبد، فإنه يكون محجوبا وينقص أجره كما سبق. وكذا إن كان الحامل عليها نفع) النبي صلى الله عليه وسلم، فإن صلاته حينئذ لا تتعلق بالحق ولا تبلغ إليه. اهـ.

وفي جواهر المعاني:

وأختم شرح هذه الصلوات بمسألة إهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم، فقد سألته رضي الله تعالى عنه عن بيان ذلك، فأجاب رضي الله تعالى عنه بقوله:

اعلم أنه صلى الله عليه وسلم غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا، وعن

صلاتهم عليه، وعن إهدائهم ثواب الأعمال إليه صلى الله عليه وسلم، بربه أولا وبما منحه من سبوغ فضله، وكمال طوله، فهو في ذلك عند ربِّه صلى الله عليه وسلم في غايةٍ لا يمكن وصولُ غيره إليها، ولا يُطلبُ معها من غيره زيادة أو إفادة، يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

وهذا العطاءُ وإن ورد من الحق بهذه الصفة سهلة المأخذ قريبة المحتد، فإن لها غاية لا تدرك العقولُ أصغرَها فضلا عن الغاية التي هي أكبرها، فإن الحق سبحانه وتعالى يُعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته، ويفيض على مرتبته صلى الله عليه وسلم على قدر حضرته ومكانته عنده، وما ظنك

بعطاءٍ يَرِدُ من مرتبة لا غاية لها، (نقص: وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة، ثم يرد على مرتبة لا غاية لها) أيضا، وعظمته على قدر وسعها (نقص: أيضا)، فكيف يُقَدَّرُ هذا العطاء، وكيف تحملُ العقولُ سعته، ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.

وأقل مراتبه في غناه أنه صلى الله عليه وسلم من لدن بعثته صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، كل عامل يعمل لله تعالى ممَّن دخل في طَوْقِ رسالته صلى الله عليه وسلم يكون له مع ثواب عمله بلغ ما بلغ، فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة إهداء الثواب لما فيها من كمال الغنى الذي لا حد له، وهذا أصغر مراتب غناه صلى الله عليه وسلم، فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر،

والفضل العظيم الأخطر، الذي لا تطيق حمله عقول الأقطاب الأقطاب فضلا عمن دونهم.

وإذا عرفت هذا، فاعلم أنه ليس له حاجة إلى صلاة المصلين عليه، ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها صلى الله عليه وسلم، وليست له حاجة إلى إهداء الثواب ممن يُهْدِي له ثواب الأعمال، وما مثل المُهْدِي له في هذا الباب ثواب العمل متوهمًا أنه يزيده به صلى الله عليه وسلم أو يحصلُ له به نفع، إلا كمن رمى نقطة قلم في بحر طوله مسيرة عشر مائة ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك، متوهمًا أنه يمد هذا البحر بتلك النقطة ويزيده، فأي حاجة لهذا البحر بهذه النقطة، وما عسى أن تزيد فيه.

وإذا عرفتَ رتبة غناه صلى الله عليه وسلم وحضرته عند ربه، فاعلم أن أمر الله تعالى للعباد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليُعَرِّفهم علوَّ مقداره عند ربه، وشفوفَ مرتبته لديه، وعلو اصطفائه على جميع خلقه، وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله تعالى به صلى الله عليه وسلم، فمن طلب القرب إلى الله تعالى والتوجه إليه دون التوسل به صلى الله عليه وسلم، مُعْرِضًا عن كريم جنابه، ومُدْبِرًا عن تشريع خطابه، كان مستوجبًا من الله تعالى غايةَ السَّخَطِ والغضب وغاية اللعن والطرد والبعد، وضل سعيه، وخسر عمله، ولا وسيلة إلى الله تعالى إلا به، كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وامتثال شرعه.

فإذًا، فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه، وفيها تعليم لنا بالتوسل به صلى الله عليه وسلم في جميع التوجهات والمطالب، لا غير هذه مِنْ تَوَهُّمِ النَّفع له بها صلى الله عليه وسلم لما ذكرناه سابقا من كمال الغنى.

وأمَّا إهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم، فتعقَّلْ ما ذكرنا من الغنى أولًا، ثم تعقَّل مثالًا آخرَ يُضرب لإهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم، بمَلِكٍ عظيم المملكة، ضَخْم السلطنة، قد أُوتي في مملكته من كلِّ مُتَمَوِّلٍ خزائنَ لا حَدَّ لعددها، كلُّ خزانة عرضها وطولها ما بين السماء والأرض،

مملوءةٌ كلُّ خزانة على هذا القدر ياقوتًا أو ذهبًا أو فضةً أو زرعًا أو غيرها من المتموِّلات.

ثم قدِّر فقيرًا لا يملكُ مثلا غير خبزتين من دنياه، فسمع بالملك واشتد حبُّه وتعظيمه له في قلبه، فأهدى لذلك الملك إحدى...

(هنا نقص في المخطوط ص89 وص90)

(تابع نقل الفقرة من جواهر المعاني):

الخبزتين، معظمًا له ومحبًّا، والملك متسعُ الكرم، فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له، فوجودها عنده وعدمها على حد سواء. ثم الملك لاتساع كرمه عَلِمَ فَقْرَ الفقير وغايةَ جُهده، وعلم صدق حبه وتعظيمه في قلبه،

وأنه ما أهدى له الخبزةَ إلا لأجل ذلك، ولو قدرَ على أكثر من ذلك لأهداه له، فالملك يظهر له الفرح والسرور بذلك الفقير وبهديته، لأجل تعظيمه له وصدق حبه، لا لأجل انتفاعه بالخبزة، ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم، لا لأجل النفع بالخبزة.

وعلى هذا التقدير وضرب المثل قَدِّرْ إهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم.

وأما غناه عنه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكور أولًا وإمداده بنقطة القلم. وأما إثابته صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر المثل له بإهداء الخبزة للملك المذكور والسلام. اهـ.

تابع ص91:

...في الصلاة السرية.

ومَمن ذهب إلى الجهر بها من الصحابة: أبو هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير؛ ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير، وأبو قلابة، والزهري، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وعلي بن الحسين، وسالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، وابن سيرِين، وابن المنكدر، ونافع مولى ابن عمر، وزيد بن أسلم، ومكحول، وعمر بن عبد العزيز، وعمر بن دينار، ومسلم بن خالد؛ وإليه ذهب الشافعي، وأحد قولي ابن وهب صاحب مالك، ويحكى أيضا عن المبارك وأبي ثور.

ومن ذهب إلى الإسرار بها من الصحابة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وابن معقل، وغيرهم؛ ومن التابعين فمن بعدهم الحسن، والشعبي، وإبراهيم النخعي، وقتادة، والأعمش، والثوري؛ وإليه ذهب مالك، وأبو حنيفة، وأحمد، وغيرهم.

وأما حجَّةُ من قال بالجهر: فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة، وابن عباس، وأنس، وعلي بن أبي طالب، وسمرة بن جندب، وأم سلمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة، فمنهم من صرَّح بذلك، ومنهم من فهم ذلك من عبارته.

ولم يرد في صريح الإسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا روايتان: أحدُهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن معقل، والأخرى عن أنس وهي في الصحيح، وهي معللة بما أوجب سقوط الاستدلال.

وروى نعيم بن عبد الله المُجْمِر قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَرَأَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ثُمَّ قَرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ، وذكر الحديث، فيه: ثُمَّ يَقُولُ إِذَا سَلَّمَ: إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه. وقال: أما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت وصحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: كَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ يَؤُمُّ النَّاسَ افْتَتَحَ بِـبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قال الدارقطني: رجاله كلهم ثقات.

وعن ابن عباس قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْهَرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أخرجه الدارقطني، رجاله كلهم ثقات. وقال: ليس في روايته مجروح. وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال: إسناده صحيح، وليس له علة.

وفي رواية عن ابن عباس قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أخرجه الدارقطني وقال: إسناده صحيح ليس في إسناده مجروح، وأخرجه الترمذي وقال: ليس

إسناده كذلك. قال الشيخ أبو شامة: أي لا يماثل إسناده ما في الصحيح ولكن إذا انضم إلى ما تقدم من الأدلة رجح على الصحيح.

وعن أنس قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أخرجه الدارقطني وقال: إسناده صحيح.

وفيه عن محمد بن أبي السري العسقلاني قال: صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها. وسمعت المعتمر يقول: ما آلو أن أفتتح (أقتدي؟) بصلاة أنس بن مالك، وقال أنس: ما آلو أن أفتتح (أقتدي؟) بصلاة رسول الله صلى الله عليه

وسلم. أخرجه الدارقطني، وقال: رواته كلهم ثقات. وأخرجه الحاكم أبو عبد الله وقال: رواة هذا الحديث كلهم عن آخرهم ثقات.

قلتُ: وفي الباب أحاديث وأدلة وإيرادات وأجوبة من الجانبين ذكرها، وفي هذا القدر كفاية وبالله تعالى التوفيق.

ومنها: ترتيل الركوع والسجود كما ينبغي لكل مصل، وهو الطمأنينة.

وذلك أن يمكث في ركوعه وسجوده قدر ما يسبح ثلاث تسبيحات، لما في أبي الدرداء والترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَقَالَ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثًا فَقَدْ تَمَّ رُكُوعُهُ وَذَلِكَ أَدْنَاهُ، وَإِذَا سَجَدَ فَقَالَ فِي سُجُودِهِ

سُـبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثَ مَـرَّاتٍ فَقَـدْ تَمَّ سُـجُودُهُ وَذَلِـكَ أَدْنَاهُ». اهـ.

وفي شرح (ــ؟) لابن عبد الصادق: إن أقل الطمأنينة قدر ما يسبح الإنسان ثلاث مرات. وفي شرح الدردير على المختصر عند قول: (فراغ في المخطوطة) وعلى الطمأنينة ويطلب تطويله في الركوع والسجود عن الرفع منهما. اهـ.

وفي حاشية الدسوقي في هذا المحل: واعترض العلامة البناني على (فراغ في المخطوطة، هو في حاشية الدسوقي: المصنف) في عده الزائد على الطمأنينة سنة، فقال: انظر من نص على أن الزائد عليها سنة، ونص اللخمي: اختلف في حكم الزائد على أقل ما يقع عليه اسم الطمأنينة،

فقيل فرض موسَّع، وقيل نافلة، وهو الأحسن وهكذا عباراتهم في أبي الحسن وابن عرفة وغيرهما. اهـ.

قلتُ: وهو كما ذكر في حاشية البناني، قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في بداية الهداية في آداب الصلاة: ثم كبر للركوع، إلى أن قال: وقل سبحان ربي العظيم ثلاثا، وإن كنت منفردا بزيادة إلى السبعة أو إلى العشرة حسن. إلى أن قال: ثم اسجد، إلى أن قال: وقل سبحان ربي الأعلى ثلاثا أو سبعا أو عشرا إن كنت منفردا. وقال في آداب الإمامة: ولا يزيد الإمام على الثلاثة في تسبيحات الركوع والسجود بحيث لا يمل القوم لئلا يؤدي إلى تنفير القوم، وعند

سفيان أن يقول الإمام خمسا ثم يتمكن القوم من الثلاثة، وقال الشافعي: لا يزيد على الثلاثة فيهما. اهـ.

ومنها: تكرار الفاتحة فيما عدا الفرائض الخمس.

وإنما قلنا من غير الفرائض الخمس لأن الواقع من الشيخ تكرارها في غير الخمس كما أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأما الفقهاء فقد صرحوا بعدم بطلان الصلاة مطلقا بتكرار الفاتحة. قال الخرشي في شرحه على المختصر عند قول المصنف: (ويتعمَّد كسجدة من كل ركن فعلي): وخرج بتمثيله بالركن الفعلي القولي كتكرير

الفاتحة، والظاهر لا تبطل، لأنه من الذكر. اهـ.

وفي قريبة المسالك على مذهب الإمام مالك للشيخ العمروسي: وزيادة ركن فعلي عمدا أو جهلا كسجدة في فرض أو نفل لا قولي فلا تبطل بتعمد زيادته على المعتمد، كتكرير الفاتحة. اهـ.

وفي شرح الدردير في هذا المحل: وبتعمد زيادة ركن فعلي كسجدة لا قولي فلا تبطل على المعتمد.

وفي قريبة المسالك على مذهب الإمام مالك للشيخ الدردير، وفي حاشيته: قوله: قولي فيه رد على من يقول إنه إذا كرر الفاتحة تبطل، وهو أحد قولين، والمعتمد ما

قاله شيخنا تبعا (فراغ في المخطوطة) واعتمده المحشي أيضا لأنه من جملة الذكر.

ومنها غير ما تقدم مما لا نطيل بذكره لعدم الحاجة إلى تتبعه، وما ذكرنا ما تقدَّم إلا لأجل أن يعلم المولع بالاعتراض على أهل الله تعالى أنه ما أدَّاه إلى الاعتراض إلا جهله الناشئ عن سوء أدبه وخبث طويته، ولو تأدَّب معهم وأحسن الظن بهم لما رأى شيئًا من كلامهم إلا وأراه الله تعالى في علوم الشريعة والحقيقة ما يستريح به من الإنكار، ويعلم به أنهم على هدى وصواب، الحمد لله الذي منَّ علينا بذلك.

 الفصل الحادي عشر في أمر الإخوان المنتسبين إلى طرق أهل الله تعالى بتحمل إذاية المنكرين والمعترضين عليهم وعلى ساداتهم من الأولياء اقتداءً بأنبياء الله تعالى ورسله وأوليائه، والتأسي بهم.

فأقول وبالله تعالى التوفيق:

اعلم يا أخي رحمك الله أن عادة الله في أصفيائه أن يسلط الخلق عليهم كلما مالت قلوبهم لغيره، لأن الولي إذا آذاه الناس وذمُّوه ورموه بالبهتان نفرت نفسه منهم ولم يركن إليهم، فيصفو له الوقت مع ربه عز وجل. فالرجل يُبتلى على حسب دينه، فلكل نبيء وصِدِّيق عدو، فقد كان لآدم إبليس، ولنوح حام وغيره، ولداوود جالوت، ولإبراهيم النمرود، ولموسى فرعون، ولعيسى بخت نصر والدجال واليهود، ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أبو جهل وغيره.

قال سيدي علي الخواص: لو أن كمال الدعاة إلى الله تعالى كان موقوفًا على إطباق الخلق عليهم بالتَّصْديق لكان الأوْلى

بذلك رسول الله صلى الله عليهم وسلم والأنبياء قبله، وقد صدَّقهم قوم وهداهم الله تعالى بفضله، وكذَّبهم آخرون فأشقاهم الله تعالى بعدله.

وللأصفياء والأولياء بعد الأنبياء أعداءٌ من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا، يؤذونهم ويتكلمون فيهم بسوء، ودليل هذا كله (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً).

ولما كان الابتلاء شرفا جمع الله تعالى لخواص هذه الأمة من البلايا والمحن جميع ما كان متفرقا في الأمم السالفة لعلو درجتهم:

-فقد كان عبد الله بن الزبير كثير الخشوع في الصلاة وقالوا فيه مراء، وصبوا على رأسه ووجهه ماءً حميمًا وهو ساجد وهو لا يشعر، ومكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه.

-وكان لابن عباس نافع بن الأزرق يقول إنه يفسر القرآن بغير علم.

-وكان لسعد بن أبي وقاص بعض (جهَّال) الكوفة يؤذونه ويقولون إنه لا يحسن أن يصلي.

-ولا يخفى ما قاساه الأئمة الأربعة والبخاري وغيرهم من الإذاية.

-وقد نفي أبو يزيد البسطامي عن بلده سبع مرات بأمر الحسين بن عيسى، لمَّا تكلم أبو يزيد بعلوم لا عهد لأهل بلده بها فى مقامات الأولياء والأنبياء، ولم يعد البسطامي إلا بعد (نقص: موت) الحسين المذكور، ثم بعد ذلك ألِفه الناس وعظموه.

-وكذلك ذو النون المصري أخرجوه من مصر إلى بغداد مقيَّدًا مغلولًا، وسافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة.

-وأخرجوا محمد بن الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه مذهب أهل الحديث من إجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل، والإيمان بها على علم الله تعالى فيها، ولمَّا أخرجه أهل بلخ قال لهم نزع الله من قلبكم معرفته، فلم يخرج بعد ذلك صوفي من بلخ مع أنها كانت أكثر بلاد الله تعالى صوفية.

-وكذلك شهدوا على الجنيد بالكفر، كان يتكلم في علم التوحيد على رؤوس الأشهاد، فصار يقرره في قعر بيته.

-وعقدوا على الشيخ ابن أبى جمرة مجلسا فى الردِّ عليه حين قال: أنا أجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم. فلزم بيته فلم يخرج إلا للجمعة حتى مات.

-ورموا السبكي بالكفر، وبالقول بإباحة الخمر واللواط، وأنه لبس الغيار وهو يشبه الزنار، وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام إلى مصر.

-ورموا أبا مدين بالزندقة، وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان، ومات بها.

-وأخرجوا الحكيم الترمذى حين صنَّف كتابه علل الشريعة وكتاب ختم الأولياء، وأنكروا عليه بسبب هذين الكتابين، وقالوا : فضلت الأولياء على الأنبياء، وأغلظوا عليه، فجمع الكتابين كليهما وألقاهما فى البحر

فبلعتهما سمكة سنين ثم لفظتهما وانتفع بهما.

-ورموا سهل بن عبد الله بالكفر والقبائح، وأخرجوه إلى البصرة حتى مات.

-ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم والكفر بألفاظ وجدوها فى كتبه.

-ورموا يوسف بن الحسين بالعظائم إلى أن مات، لكنه لم يبال بهم لتمكنه.

-وأخرجوا أبا الحسن البوسنجي إلى نيسابور فلم يزل بها إلى أن مات.

-ورموا السحنون المحب بالعظائم، ورشوا بغيا فادعت أنه كان يأتيها هو وأصحابه.

-وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا، حتى إن من كان يحبه شهدوا عليه بالجنون

وأدخلوه المارستان ليرجع الناس عنه. وقال أحد مشايخ بغداد: لو لم يكن لله تعالى جهنم لخلقها للذين آذوا الشبلي وكفروه، وقال: إن لم يدخل الشبلي الجنة فمن يدخلها؟!.

-وأخرج أهل المغرب الإمام أبا بكر القابسي من المغرب مقيَّدًا إلى مصر، وأُخذ وسُلخ حيًّا منكوسًا وهو يقرأ القرآن بتدبر وخشوع. وكاد أن يفتتن به الناس فرفع الأمر إلى السلطان فقال: اقتلوه ثم اسلخوه.

-وكذا سلخوا النسفي بحلب، وكان ينظر إلى الذي يسلخه ويتبسم، وعمل خمسمائة بيتا من موشحات التوحيد وهم يسلخونه، وذلك حين كان يقطعهم بالحجج، فاحتالوا له بأن كتبوا سورة الإخلاص في ورقة وخاطوا عليها نعالا فأهدوها إلى الشيخ من طرق

بعيدة، فلبسها وهو لا يشعر، وقالوا لنائب حلب: إن النسفي كتب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وجعلها في طباق نعليه، فبعث النائب إليه فاستخرج الورقة، فسَلَّمَ الشيخ أمره إلى الله تعالى ولم يُجب عن نفسه، وعلم أنه لا بد أن يُقتل على تلك الصورة.

-وأخرجوا أبا القاسم النصراباذي من البصرة، وأبا عبد الله السنجي صاحب أبي حفص الحداد.

-وشهدوا على أبي الحسن البصري بالكفر.

-وتكلموا في ابن شمعون بالكلام الفاحش حتى مات فلم يحضروا له جنازة.

-وتكلموا فى الإمام أبى القاسم بن جميل بالعظائم إلى أن مات ولم يتزلزل عما فيه

من الاشتغال بالعلم والحديث وصيام الدهر وقيام الليل وزهده فى الدنيا حتى لبس الحصير.

-وقال أبو بكر (التلمساني): كان أبو دانيال يحط على الجنيد وعلى رويم وعلى سحنون وابن عطاء وعلى مشايخ العراق، وكان إذا سمع أحدا يذكرهم بخير تغيظ وتغير.

-وأخرجوا أبا الحسن الشاذلي من بلاد المغرب إلى مصر، ورموه بالزندقة والإلحاد وتحليل المحرمات.

-وقتلوا الإمام أبا القاسم بن قسي وابن حيان والجوني والمرجاني.

-وما زالوا ينكرون على ابن العربى الحاتمى وابن الفارض إلى وقتنا هذا.

-وعقدوا على عز الدين بن عبد السلام مجلسا فى كلمة قالها فى العقائد.

-وحسدوا تقي الدين بن بنت الأعز وزوَّروا عليه كلاما للسلطان حتى همَّ بقتله ثم تداركه الله تعالى.

وقال السيوطي: وممَّا منَّ الله تعالى به علي أن قام لى عدو يؤذينى ويمزق عرضى، لتكون لى أسوة بالأنبياء والأولياء. واعلم أنه ما كان كبير فى عصر إلا كان له عدو من السفلة، إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف. اهـ.

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي رضى الله تعالى عنه يقول: ولمَّا علم الله تعالى ما سيقال فى هذه الطائفة على حسب ما سبق

به العلم القديم بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، فقضى على قوم أعرض عنهم بالشقاء، فنسبوا إليه زوجة وولدا وفقرا، وجعلوه مغلول اليدين، فإذا ضاق ذرع الولي والصِّدِّيق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك، نادته هواتف الحق: الذى قيل فيك هو وصفك الأصلي لولا فضلي عليك، أما ترى إخوانك من بنى آدم كيف وقعوا فى جنابي ونسبوا إلي ما لا ينبغي لي؟، فإن لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض نادته هواتف الحق أيضا: أما لك فيَّ أسوة؟ فقد قيل فيَّ ما لا يليق بجلالي، وقيل في حبيبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وفي إخوانه من الأنبياء والرسل ما لا يليق

بمرتبتهم من السحر والجنون، وأنهم لا يريدون بدعائهم إلا الرياسة. اهـ.

وقال أيضا: وقد جرت سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه أن يسلِّطَ عليهم الخلق في مبدأ أمرهم وفي حال نهايتهم كلما مالت قلوبهم لغير الله تعالى، ثم تكون الدولة والنصرة لهم آخر الأمر إذا أقبلوا على الله كل الإقبال.

قال الشعراني في أول طبقاته: قلتُ: وذلك لأن المريد السَّالك يتعذر إليه الخلوص إلى حضرة الله تعالى مع ميله إلى الخلق وركونه إلى اعتقادهم فيه، فإذا آذاه الناس ونقصُوه، ورموه بالزُّور والبُهتان، نفرت نفسه منهم، ولم يصر عنده ركون إليهم البتة،

وهناك يصفو له الوقت مع ربه، ويصح له الإقبال عليه لذهاب التفاته إلى وراء، فافهم.

ثم إذا رجعوا بعد انتهاء سيرهم إلى إرشاد الخلق يرجعون وعليهم خلعة الحلم، والعفو، والستر، فتحملوا أذى الحق، ورضوا على الله تعالى في جميع ما يصدر عن عباده في حقهم، فرفع بذلك قدرهم بين عباده، وكمَّل بذلك أنوارهم، وحقق بذلك ميراثهم للرسل في تحمل ما يرد عليهم من إذاية الخلق، وظهر بذلك تفاوت أمرهم، فإن الرجل يُبتلى على حسب دينه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾،وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾.

وذلك أن الكمَّل لا يخلو أحدهم عن هذين الشهودين: إما أن يشهد الحق بقلبه، فهو مع الحق لا التفات له إلى عباده؛ وإما أن يشهد الخلق فيجدهم عباد الله تعالى، فيكرمهم لسيدهم، وإن كان مصطلما فلا كلام لنا معه لزوال تكليفه حال اصطلامه.

فعُلم أنه لا بد لمن اقتفى آثار الأنبياء والأولياء والعلماء أن يؤذوا كما أوذوا، ويُقال فيهم البهتان والزور كما قيل فيهم ليصبروا كما صبروا، ويتخلقوا بالرحمة على الخلق رضي الله تعالى عنهم أجمعين. اهـ.

وفي هذا القدر كفاية لكل موفق.

قلتُ: وكفى أهل الله والمعتقدين فيهم شرفا أن يكونوا مقتفين آثار الأنبياء والرسل، ويكون من آذاهم بالإنكار والانتقاد مقتديا بالشيطان والكفار. اهـ.

□ والخاتمة نسأل الله حسنها في بيان الولي قد يعلم ولايته وقد لا يعلمها، وقيل يعلم أنه مأمون العاقبة وأنه لا تتغير عاقبته، وأن من الناس من لا يفتح الله تعالى عليه إلا عند الموت رحمة به، وأن منهم من يموت غير مفتوح عليه ويبعثه الله عز وجل على حالة هي أكمل وأكبر من حالة المفتوح عليه.

وإنما ختمنا كتابنا هذا بهذه الخاتمة لأمرين:

-الأول أني سمعت كثيرا من الناس يسألون عن هذه المسائل.

-والثاني: في اختتامي بها من التفاؤل الحسن الختام ما لا يخفى.

قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه في رسالته: واختلف أهل الحق في الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا؟.

فكان الإمام أبو بكر بن فورك يقول: لا يجوز ذلك، لأنه يسلبه الخوف ويوجب له الأمن؛ وكان الأستاذ أبو علي الدقاق يقول بجوازه، وهو الذي نؤثره ونقول به.

وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء حتى يكون كل ولي يعلم أنه ولي واجبًا، ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك كما يجوز أن لا يعلم ذلك بعضهم. فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته ذلك كرامةً له انفرد بها، وليس كل كرامة لولي تجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء، بل لو لم تكن للولي كرامة

ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه وليًّا. بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات، لأن النبي مبعثٌ به إلى الخلق، فللناس حاجةٌ إلى معرفة صدقه، ولا يعلم إلا بالمعجزة. وبعكس ذلك حال الولي، فإنه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضا العلم بأنه ولي. والعشرة من الصحابة صدَّقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبرهم أنهم من أهل الجنة.

وقول من قال لا يجوز ذلك لأنه يخرجهم من الخوف، فلا بأس أن لا يخافوا تغير العاقبة. والذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والإجلال للحق سبحانه يزيد ويرقى على كثير من الخوف.

وقال بعد كلام: ويجوز أن يكون من جملة كرامات ولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة، وأنه لا تتغير عاقبته، فليلحق هذه المسألة بما ذكرنا أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولي. اهـ.

وقال في الإبريز: وسمعتُ –يعني القطب سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه- يقول: شأن الفتح عجيب وأمره كله غريب، وكم من عبد الله محبوب عند الله يمنعه الله سبحانه وتعالى من الفتح رحمةً به، وذلك أن في الفتح أمورا إذا شاهدها المفتوح عليه قبل أن تطيب ذاته وأن تصل ففي ساعة يرجع نصرانيا، وفيه أمور إذا شاهدها يرجعُ بها يهوديا. وكم من رجل لا يفتح عليه إلا عند خروج روحه، وكم من رجل يموت غير مفتوح

عليه ويبعثه الله تعالى على حالة هي أكمل وأكبر من المفتوح عليه.

وقال مرة لبعض أحبابه: هذا هو الحمل الكبير الذي خزنوه في هذا التابوت. يُشير إلى المعنى السابق.

وقال: وسمعته رضي الله تعالى عنه يقول لهذا الحبيب: إن لك حسنات عظيمة جسيمة إذا رأيتها غبطتك فيها.

ومرة قال له: هل لك أن تقسم معي حسناتِك، فإني لا أزال أتعجَّب منها ومن عِظمها. اهـ.

قلتُ: وقد يظهر لكل موفق يفهم كلام هذا القطب وجه كون عوام بعض طرق أهل الله تعالى أعلى مرتبة في الأخرة من أكابر

العارفين والأقطاب، سبحان الفعال لما يريد، ولا يسأل عما يفعل، (إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ).

هذا آخر ما أردنا جمعه من كلام ساداتنا الأولياء رضي الله تعالى عنهم، ترغيبًا لمن أراد الله له الخير من المعتقدين في التعلق بهم، وردًّا على من أراد الله إهلاكهم من المنتقدين.

اللَّهُمَّ كَمَا مَنَنْتَ عَلَيْنَا بِمَعْرِفَتِهِمْ، فَلَا تَحْجُبْنَا عَنْ مَحَبَّتِهِمْ وَرُؤْيَتِهِمْ، وَلَا تَحُلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، حَتَّى تُحِلَّنَا مَحَلَّهُمْ، وَتُدْخِلَنَا مَدْخَلَهُمْ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

انتهى بحمد الله وعونه وتوفيقه الجميل ومنِّهِ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد الهادي من الضلالة والمنقذ من العذاب الأليم، وعلى آله وأزواجه وذرياته وأهل بيته وأصحابه وأنصاره وأتباعه من أهل أمته، انتهى.